

CHRIST ABOVE ALL



يسوع فوق الكل

ترجمة
عماد عاطف

تأليف
بليك ويسترن

يسوع ... فوق الكل

تأليف

بليك ويسترن

Blake Western

ترجمة

عماد عاطف



طبعة أولى

جميع حقوق الطبع محفوظة فلا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب،
أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها، أو
استنساخه بأي شكل من الأشكال بدون إذن خطي مسبق من الناشر.

الكتاب: يسوع ... فوق الكل

المؤلف: بليك ويسترن

ترجمة: عماد عاطف

الناشر: نور الحياة لخدمات الترجمة

مدير النشر: فرحان ناشد

إخراج فني وتجهيزات طباعة : نصر الله زكريا

تصميم غلاف: هناء رمزي

الطبعة الأولى: أكتوبر 2024

رقم الإيداع: 14108 / 2024

الترقيم الدولي: 9 – 23 – 8876 – 977 – 978

مقدمة الناشر

سيظل دائماً يسوع فوق الكل من أي منظور نتأمل فيه. إنه الأول والأعلى والأسمى، والأعظم من الجميع. توجد الكثير والكثير من آيات الكتاب المقدس التي تخبرنا عن تفردّه. وكذلك تعلن لنا كلماته عن مدى عظمته أيضاً. إذا فكرنا في قادة عظماء، فسنجد يسوع فريد كقائد وفي نفس الوقت خادم الجميع. إذا فكرنا في أشخاص أسخياء وكرماء عظماء، فلا أحد يُقارن بما قدمه يسوع. إذا تأملنا في أبطال بارزين، أين يمكننا أن نجد بطلاً مثل يسوع الذي مات بدلاً عنا على الصليب؟ إذا بحثنا عن أسماء الأشخاص المعروفين بإنسانيتهم، لا يسعنا إلا أن ننظر إلى يسوع، الذي كان كاملاً في إنسانيته. لم يكن هناك شخصاً مثل يسوع، ولن يكون هناك أيضاً شخصاً مثله. إننا لا يمكن أن نتخطاه أو نتعالى عليه لأنه فوق الكل.

أية ولادة أخرى كمثال ولادة يسوع المسيح المتجسد الذي كان سابقاً في السماء، ولكنه وُلد من عذراء؟ وأية حياة يمكن أن تقارنها بحياة يسوع في تعاليمه ومعجزاته؟ وأي موت فدائي يمكن أن يعكس حتى القليل من الحب اللامتناهي الذي ظهر عندما مات يسوع من أجل خطايانا على الصليب؟ لا شيء يمكن أن يقترب من ما تعنيه قيامة المسيح وانتصاره على الموت! قد كان هناك من عادوا إلى الحياة ولكنهم ماتوا مرة أخرى، وأما يسوع فقام مرة أخرى

إلى حياة لا يسود عليها الموت أبداً. إن يسوع أكثر من مجرد نبي وأكثر من معلم وأكثر من صديق وأكثر من قائد، إنه مخلصنا وربنا. إنه الكل في الكل وقبل كل شيء. إنه رب الزمان والأبدية.

في توقيت الله، سيأتي يسوع مرة أخرى، في وقته المعين، وعندئذ سيري الجميع ويعرف أنه فوق الكل. وستجثو كل ركبة ويعترف كل لسان بأنه الرب. إنه آتٍ في مجده، وسيكون واضحاً أنه رب الكل. وبفضل نعمته، سوف يعيشون معه إلى الأبد أولئك الذين افتداهم بينما نتعلم في الأبدية المزيد والمزيد عن عظمته وأمجاده. ما نقوله الآن حقيقي ولكنه لا بُد أن يبدو مثل كلمات الأطفال. وما سوف يكون هو أننا سنسقط أمامه فمجده ونسبحه مع الجموع السماوية، «قَائِلِينَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «مُسْتَحَقُّ هُوَ الْخَرُوفُ الْمَذْبُوحُ أَنْ يَأْخُذَ الْقُدْرَةَ وَالْغِنَى وَالْحِكْمَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْمَجْدَ وَالْبَرَكَةَ!» (رؤيا يوحنا ٥: ١٢).

ويسرُّ «نور الحياة للنشر والتوزيع» أن تقدم هذا الكتاب المتميز لكل قارئ عربي، لعله يتعرّف على يسوع الذي هو بحق فوق الكل.

نور الحياة للنشر والتوزيع

الفهرس

٣	مقدمة الناشر
٧	المقدمة
١١	الفصل الأول: يسوع فوق الكل
١٧	الفصل الثاني: يسوع خبز الحياة
٢٥	الفصل الثالث: يسوع ماء الحياة
٣٣	الفصل الرابع: يسوع هو الطريق
٣٩	الفصل الخامس: يسوع صديق الخطاة
٤٥	الفصل السادس: يسوع نور العالم
٥١	الفصل السابع: يسوع الراعي الصالح
٥٧	الفصل الثامن: يسوع الملك
٦٥	الفصل التاسع: يسوع الكاهن
٧٣	الفصل العاشر: يسوع النبي
٨١	الفصل الحادي عشر: يسوع الخالق

٨٧	الفصل الثاني عشر: يسوع الرئيس
٩٣	الفصل الثالث عشر: يسوع الأخ
١٠١	الفصل الرابع عشر: يسوع الكرمة الحقيقية
١٠٧	الفصل الخامس عشر: يسوع الفادي
١١٥	الفصل السادس عشر: يسوع (القاضي) الديان
١٢٣	الفصل السابع عشر: يسوع الباني
١٢٩	الفصل الثامن عشر: يسوع صاحب المفاتيح
١٣٥	الفصل التاسع عشر: يسوع رجل الأحران (الأوجاع)
١٤١	الْخُلَاصَة

مقدمة

إننا لو أستطعنا أن نجمع معًا كل العظماء من الرجال والنساء في الماضي، لن نصل مُطلقًا إلى شخص يسوع المسيح. فهو يفوق أي من أعظم الرجال والنساء الذين يمكن تسميتهم. لقد عُرف بعض الرجال العظماء بلطفهم وكرمهم. وعُرف البعض الآخر بقيادتهم الخدمية. كما اشتهرت بعض النساء بحبهن الباذل المُضحى. وأيضًا عُرف البعض الآخر بإبداعهم.

هناك أيضًا بعض الشخصيات البارزة في الكتاب المقدس. على سبيل المثال كان إبراهيم يُعتبر أبًا للإيمان، ومع ذلك كان لديه إخفاقات أخلاقية. وأيضًا كان موسى قائدًا عظيمًا، لكنه قتل رجلًا ولم يُطع الله. كان داود أيضًا ذلك المرنم المحبوب الحلو، مثالًا في نواحٍ عديدة، لكنه كان بعيدًا عن الكمال. كما كان سليمان أيضًا واحدًا من أحكم رجال الأرض. ولا شك أن هذا كان صحيحًا، لكن نسائه الكثيرة قادته إلى الإنحراف والبعد عن الكمال. وبغض النظر عن معتبره أو نقدره من العظماء إلا أنه يوجد دائمًا بعض العيب أو النقص.

المسيح يفوق كل هؤلاء الرجال العظماء. هذا ما كتب عنه القديس بولس أنه: «فَوْقَ كُلِّ رِيَّاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسَيَادَةٍ، وَكُلِّ أَسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هَذَا الدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضًا». (أفسس ١: ٢١).

نقرأ في (فيلبي ٢: ٩)، «لِذَلِكَ رَفَعَهُ اللَّهُ أَيْضًا، وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ، لِكَيْ تَجْنُثُوا بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ، وَمَنْ عَلَى الْأَرْضِ، وَمَنْ تَحْتَ الْأَرْضِ». المسيح ليس فقط عظيمًا في جانب واحد من شخصيته، لكنه أيضًا كاملاً ومثاليًا في كل جانب من جوانب شخصيته. فلا يوجد فيه نقص أو عيب. وليس هناك ما يجعلنا نقول عنه، «أتمنى أن يكون أفضل في هذا الجزء».

فلا يوجد أحد أفضل منه، ولا أحد أكثر لطفًا، وليس لأحد حبًا أعظم منه، ولا أكثر منه قداسة، ولا أحد أقوى أو أكثر منه إخلاصًا. ولا أحد يفوق علمه لأنه فوق كل شيء قد خلق. فجميع المخلوقات لا تساويه إذ هو رب الجميع. هو الأعظم بين العظماء. ولا تقتصر عظمته على أي عصر أو زمن. لأنه يبدو أن بعض الرجال العظماء تتلاشى عظمتهم وذكركهم مع مرور الوقت. ولكن يسوع المسيح هو هو لم يتغير. يقول الكتاب المقدس أن يسوع المسيح هو هو أمسًا واليوم وإلى الأبد. بل سوف نرى المزيد والمزيد من عظمته في الدهور الآتية. إنه فوق كل شيء من الماضي والحاضر بل وفوق ما لم يأت بعد. ولن يتفوق عليه أحد.

يسوع هو كل ما يمكن أن نتمناه، إنه كل ما يمكن أن نحتاجه. إنه أعظم عطية يمكن أن يعطيها الله على الإطلاق. لأنه بإعطائنا يسوع، فهو أعطانا نفسه. ولا شيء في الخلق يمكن أن يعادل هذه الهبة المجانية. ولا شيء يمكننا أن نحصل عليه أو نقوم بصنعه يمكن أن يعادل هذه الهبة. لقد أعطانا الله هدية لا توصف وغير قابلة للإضمحلال في المسيح. لأنه لو حتى كان بإمكانك الحصول على كل العالم وكنوزه، فلن تكن شيئًا له قيمة مقارنةً به أو بجانبه. ولو تمكنت من أن يكون لديك كل الثروات والكنوز بأي وسيلة من الخداع.

فيسوع المسيح فوق كل شيء أينما ذهبنا وفي كل زمان نذهب أو نلتقي فيه.
إنه «الكل في الكل»، فهو ملك الملوك ورب الأرباب.

بليك ويسترن

الفصل الأول

يسوع فوق الكل

«فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسَيَادَةٍ، وَكُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هَذَا الدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضًا، وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ، الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ، مِلءُ الَّذِي يَمَلَأُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ». (أفسس ١: ٢١-٢٣).

هناك بعض الأشياء التي نُخطئ فيها التفسيرات البشرية بعيدًا عن حقيقتها الكاملة، فتكون بذلك قاصرة. فحتى لو تمكنا من شرحها، ربما لا نفهم تمامًا ما قد قيل. وهذا ينطبق بشكل صحيح وخاص عندما نتحدث عن يسوع. إذ إنه دائمًا يفوق كل ما يمكننا قوله. يُشير النص الكتابي أعلاه إلى أن يسوع هو فوق كل شيء يمكن أن نفكر فيه. إنه فوق كل شيء في كل ما أختبرناه في الوقت الحالي وهكذا سيظل كذلك في المستقبل. بطريقة أخرى يقول القديس بولس أن كل شيء تحت قدميه. وهذه واحدة من الشواهد الكتابية التي عندما نقرأها لا يسعنا إلا أن نسقط عند أقدام ربنا يسوع المسيح مقدمين له العبادة والسجود.

يمكننا في بعض الأحيان المبالغة في فضائل أحد أصدقائنا الذين نُعجب بهم أو أحد أفراد الأسرة الذين نحبهم، لكننا حقًا لا نبالغ أبدًا في ما نقوله عن

ربنا يسوع المسيح. فوصفه دائماً يتجاوز كلامنا وأفكارنا. لاحظ المصطلحات التي استخدمها القديس بولس مُعبِّراً عن عظمة يسوع، فقال إنه فوق «كل رياسة»، «كل اسم»، و «كل قوة وسيادة». يكاد بولس يستنفذ كل مفردات اللغة، فيقول بشكل نهائي مختصر أن يسوع يفوق كل شيء وكل شخص. إنه فوق كل شيء!

هذا النص جزء من الصلاة التي بدأت في الآية ١٥. إذا كان هناك أي شك في أن الله يمكن أن يستجيب الصلاة، يجب أن تكون هذه الفكرة قد تبددت بما قيل في الآيات من ٢١ إلى ٢٣. واحدة من نقاط ضعفنا كمسيحيين هو أننا نفشل في التفكير بما فيه الكفاية في عظمة وعلو وتفوق يسوع.

١- في المجد

لم يعان أحد من الإذلال مثل يسوع. فقد تذلل طوال حياته على الأرض، وأعظم إذلال كان ما عانى منه على الصليب. لقد تمت معاملته على أنه مجرم مُشتهر بالإجرام. الشخص الذي خلق الأشجار قد سُمِر على شجرة؛ معطي الحياة وحافظها قد أُسلم إلى الموت. لقد ظهر مجد يسوع بالطريقة التي عاش بها وبالكيفية التي مات بها. وفوق كل هذا رأينا مجده في قيامته. نعم قام آخرون سابقاً من الموت، ولكن يسوع قام بحياة غير قابلة للموت ثانية إلى الأبد. إذ قد عاد إلى المجد الذي كان له قبل نزوله إلى الأرض.

يتحدث الكتاب المقدس عن كونه الآن عن يمين الآب. هذه المكانة هي موضع الكرامة والمجد. تقول إحدى الترجمات أنه قد «توج». ومهما كانت

الكلمات المستخدمة، فهذا يعني أن يسوع قد رُفِعَ إلى أعلى مكانة. نرى في سفر الرؤيا حمل الله جالسًا على العرش ويدعى اسمه: «ملك الملوك ورب الأرباب». أعلى مكان ليس هو على الأرض، لكن أعلى مكان في العرش السماوي، مكان المجد. هلولويا!

يقول في رسالة العبرانيين أن يسوع «جلس عن يمين الله». إن ذلك لا يعني أنه قد توقف عن العمل، لكنه يعبر عن اكتمال آلامه وأيضًا يُبين مكانة سلطانه ومجده. ونحن لا نعرف سوى القليل عن المجد هنا، لكننا نرى الأجرام السماوية تُعلن مجد الله. ومع ذلك، فإن يسوع أبعد وأعلى من أي شيء في نظام الخليقة. فهو ليس من هذه الخليقة لأنه الخالق. إنه نزل من سمائه إلى الخليقة لينقذنا ويخلصنا، ثم عاد مرة أخرى إلى السماء بجسد بشريته. فقد إتحّد جسده (ناسوته) بلاهوته إلى الأبد. فهو إله وإنسان في شخص واحد. وسوف يكون دائمًا الشخص ذاته، العلي المرتفع عاليًا فوق جميع السموات.

٢- في القوة

يبدو أن بولس لم يجد كلمات كافية للتعبير عن عظمتة وعلوه. فقال: أن يسوع تعالى فوق كل رياسة وسلطان وكل قوة ورياسة. غالبًا ما تستخدم هذه الكلمات لوصف الكائنات الروحية مثل الملائكة ورؤساء الملائكة. تلك الكائنات السماوية بالفعل أقوىاء، لكن تتلاشى قوتهم عند مقارنتها بيسوع. فيسوع له كل السلطان على كل قوى السماء إذ تنحني كل الملائكة أمامه. لقد تكلم يسوع وقد تم. تكلم إلى العاصفة وهذأت. أمر بالبصر إلى العميان

وفتحت عيونهم. تكلم إلى لعازر الميت فخرج من القبر. تكلم إلى الأبرص فطهر جلده وصار ك لحم صبي صغير. تكلم إلى المقعدين والمشلولين فقاموا يقفزون مرة أخرى.

كان هناك بعض القادة الأقوياء في العالم. ولكن كان بعضهم صالحين، وآخرين كانوا سيئين للغاية. مع من نقارن يسوع؟! فهو متفوق وعالٍ فوق الكل. عُرف سليمان بحكمته وكان لديه الكثير من القوة، ولكن كل هذا لا يُقارن بالذي قال عن نفسه هوذا أعظم من سليمان ههنا. كان بعض القادة معروفين بقوة إحسانهم وعطائهم، ولكن لم يعطِ أحد مثل يسوع، فمحبته فاقت على جميع المحسنين مجتمعين معًا كلهم.

إن يسوع فوق الكل ليس فقط في الوقت الحالي بل في الأبدية أيضًا. مهما كانت الأمجاد القادمة التي سيصنعها أحدهم، فسيبقى دائمًا يسوع فوق الجميع. يقول الكتاب: «لِذَلِكَ رَفَعَهُ اللَّهُ أَيْضًا، وَأَعْطَاهُ أَسْمًا فَوْقَ كُلِّ أَسْمٍ». (فليبي ٢: ٩) لا يوجد مكان أعلى مما قد أُعطي ليسوع لأن يسوع قد تعالى اسمه جدًّا فوق الكل. ولن يمكننا أبدًا أن نتخطى فوق يسوع. إذا كنا نبحث عن السلطان المطلق، فإننا لن نجد من خلال المؤسسات أو الحكومة. لكننا يمكن أن نجد هذا السلطان وهذه القوة في من ارتفع عاليًا جالسًا فوق على عرش السماء.

الجالس على العرش هو ذلك المنتصر الذي كل الأشياء الآن تحت قدميه. في الحقيقة ساعة آلامه كانت هي ساعة انتصاره، إذا على الصليب انتصر على الشر. ولذلك، عندما نسمع عن شرور هذا العالم، يجب أن نتذكر ذلك

الإنْتصار الذي حققه يسوع. ونحن الآن نعيش في ظل انتصاره حتى ولو كان هناك مناوشات على طول الطريق، ولكننا في المسيح أكثر من منتصرين. السلطان والقوة له والنصر جميعاً.

٣- في العلاقات

لا يوجد أحد قريب من المؤمن المسيحي مثل يسوع. فهو رأس الكنيسة ونحن جسده. فمن هي الكنيسة في هذه الحالة؟ الكنيسة تعني كل المؤمنين بالمسيح. نحن مرتبطون بيسوع كرأس الجسد. تشبه هذه العلاقة بإتحاد الكرمة بالأغصان (الفروع) أو تشبه مبنى وأساسه. على الرغم من أن يسوع تمجد وارتفع جداً إلا إنه لا يزال مخلصنا وربنا. هو معنا من خلال الروح القدس اليوم. فهو قد أكد للتلاميذ أنه لن يتركهم يتامى. وعلى الرغم من أنه تعظم لكنه لا يزال معنا، وفي يوم من الأيام ستكون علاقتنا معه ملموسة بطريقة مباشرة.

أين يمكنك أن تجد يسوع اليوم؟ في سفر الرؤيا تجد يسوع في وسط كنائس أسيا حيث يعرف كل شيء عن كل واحد. واليوم يمكنك أن تجده مع شعبه. أنه يملأ كل شيء. تقول إحدى الترجمات عن هذه الكلمة أنه «يملاً الكون»، فهو دائماً معنا ولن يتخلى عنا أبداً. قد يتخلى الأب في بعض الأحيان عن عائلته، ولكن يسوع لن يقطع علاقته بنا إلى الأبد، إذ قد وعدنا قبل صعوده للسماء أنه سيكون معنا دائماً.

ما مدى اقتراب المسيح منك؟ في الحقيقة إنه أقرب من ذلك النفس الذي أنت تتنفسه. إنه أقرب من الأفكار التي تفكر فيها. إنه أقرب من الماء

للسمك، وأقرب من الهواء للطيور. أقرب من جسدك إلى رأسك. إنه قريب جدًا بحيث يمكنك أن تنادي عليه وتدعوه في أي وقت وفي أي مكان. فماذا يجب أن نفعل أمام هذا المسيح المُعظم، الذي اسمه فوق كل الأسماء؟ ينبغي أن ننحني بتواضع أمامه. علينا أن نعبد ونخدمه ونتبعه في الأوقات الجيدة كما في الأوقات السيئة، في الوديان وفي أعلى الجبال، أثناء العواصف أو الطقس المعتدل، عندما نكون أصحاء أو عند مواجهة الموت. وأينما يقودنا يجب علينا أن نذهب لأنه فوق كل شيء وهكذا يكون إلى الأبد.

الفصل الثاني

المسيح خبز الحياة

«فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. مَنْ يَقْبَلْ إِلَيَّ فَلَا يَجُوعُ،
وَمَنْ يُؤْمِنُ بِي فَلَا يَعْطَشُ أَبَدًا». (يوحنا ٦: ٣٥)

واحدة من الأشياء التي نفعلها كل يوم، والتي لا حاجة لنا أن يُذكرنا أحد بها لأننا نفكر دائماً فيها لأنها إحدى مباحج الحياة. ما هو هذا الشيء؟ إنه تناول الطعام. ومع ذلك، فهناك أماكن لا يوجد فيها طعام كافٍ أو يكاد يكون هناك لا شيء على الإطلاق. حقاً يصعب على معظمنا أن يكون مُدرك لذلك. فبالرغم من أنه يوجد الكثير من الطعام في هذه الأرض، إلا إنه توجد أماكن حيث يتضور الناس جوعاً.

إنه لأمر محزن أن نرى الناس يتسولون من أجل الطعام، ولكن هناك شيئاً أكثر حزنًا بيننا وهو أن نرى من لا يرغب أن يأكل بالرغم من وجود طعام متاح لديه. قرأت عن امرأة رفضت تناول الطعام بسبب أنها كانت تريد أن تموت. ولكن تم وضعها مؤخراً في مستشفى حيث قاموا بإطعمها بالقوة. وبالمثل يوجد كثير من الناس يتضورون جوعاً ولكن روحياً، تجدهم يواجهون الموت ومع ذلك لا يأكلوا. يقول يسوع لهم ولنا، «أنا هو خبز الحياة.»

١- خبز غير قابل للتلف

تستمر بعض الأطعمة لعدة أيام، لكنها تفسد بعد ذلك. وقد تستمر الأطعمة التي يتم تخليطها لعدة أشهر. وربما يجوز للبضائع المعلبة أن تستمر لعدة سنوات. ولكي نحافظ على بعض الأطعمة، نستخدم الملح. وحتى مع ذلك، سوف تُصاب هذه الأطعمة بالتلف في النهاية.

عندما أطعم الله بني إسرائيل، أعطاهم مَنًا للأكل في ذلك الوقت. فكان يسقط المن كالندى لمدة ستة أيام في الأسبوع. وقد كان صالح للأكل ليوم واحد ثم يتلف بعدها. ولكن فيما يتعلق بيوم السبت، تم توجيههم لجمع المن لمدة يومين قبل السبت لأنه لا يجوز لأحد أن يعمل في ذلك اليوم، فلم يكن يسقط المن في ذلك اليوم. ولذلك كان المن يستمر صالحًا للأكل مؤقتًا، لكنه يتعفن أخيرًا، فلم يكن دائم.

يسوع المسيح هو الخبز الدائم الباقي الذي لا يوجد فيه فساد مطلقًا. فهو الخبز الحي. من المعروف أن الأطعمة يكون لها زمن إفتراضي ومدة صلاحية، وأما يسوع فليس كذلك. هو دائماً هو هو نفسه، دائماً جيد وصالح. عندما نأكل نريد شيء جديد طازج، فالخبز القديم ليس جذاباً. في بعض الدول، يأكل الناس الأرز بدلاً من الخبز، لكنهم يريدون أيضاً أرزاً طازجاً. يسوع هو نفسه دائماً. إنه جديد كما كان عندما أتى لأول مرة على الأرض. إنه حي، وهو طازج.

هذه هي إحدى الطرق التي نرى فيها يسوع فوق الكل، إذ لا تستطيع أن تشبع من يسوع. فهناك دائماً المزيد منه حيث نجد أنفسنا نريد أن نأكل المزيد

والمزيد من هذا الخبز. وعندئذٍ لا نحتاج أبدًا إلى طلب الآخرين. فعندما نجد يسوع، نعلم أننا وجدنا كل ما نحتاجه وكل ما نريد وهو كافٍ تمامًا.

٢- الخبز السماوي

عندما نأكل شيئًا لذيذًا، نسأل أين يمكن أن نجد مثل هذا الطعام مرة أخرى؟ فنسأل عن المصدر الذي يقدمه. هكذا تأثر الناس الذين رأوا معجزة يسوع بإطعمته الآلاف. ولذلك ظنّوا أن يسوع قد يكون الإجابة على كل ما لديهم من مشاكل مادية أو جسدية. ومن أجل ذلك أرادوا أن يجعلوا يسوع ملكًا. ولكن في الحقيقة كان أمامهم المصنع الذي ينتج الخبز حي وموجود. كان يسوع يتعاطف مع الناس وقد كان يلبي احتياجاتهم المادية، ولكن كان هناك شيء أكثر من ذلك بكثير في الأهمية. يسوع نفسه هو خبز السماء، الخبز الحي. لقد كان الناس يحتاجون إلى أكثر من مجرد الخبز للجسد، بل كانوا يحتاجون إلى خبزٍ للروح.

يسوع هو الخبز السماوي. إنه ليس شخصًا قد اخترعه البشر. كما إنه ليس قصة اختلقها التلاميذ. ولكنه شخص حقيقي أرسله الله إلى الأرض. لقد جاء من السماء لخلّص البشر الذين يتضورون جوعًا للطعام الروحي. ما فعله يسوع من أجل الجموع يمكن أن يفعله لنا اليوم. إننا لن نشبع أبدًا حتى نأكل الخبز السماوي الذي هو المسيح.

خبز التقديمة

كان يُوضع خبز التقديمة في المسكن (خيمة الإجتماع) في القدس، وبعد ذلك كان يُوضع في الهيكل في العهد القديم. ما كان يُقدم الخبز في ذبائحهم. وقد كانت كل تلك الذبائح تشير إلى يسوع. لقد قدّم الله لنا ذبيحة كاملة ونهائية. لا يوجد خبز آخر لأن يسوع هو تقديمة الله لنا.

تحدث يسوع في إنجيل يوحنا الأصحاح السادس عن أكل جسده وشرب دمه. إنه لم يكن يتحدث عن أكل لحوم البشر، لكن قال أننا يجب أن نقبل ذبيحته من أجل خطايانا. إن المسيحية هي أكثر بكثير من مجرد مجموعة من التعاليم. إنها تتحدث عن يسوع الذي هو خبز الحياة. وقد كُسر هذا الخبز من أجلنا على الصليب عندما مات يسوع من أجل خطايانا.

في قلب إيماننا يستقر الصليب الذي أصبح رمز المسيحية. ما فعله يسوع على الصليب له تأثير وأهمية أبدية لأن يسوع هو الطريق الوحيد إلى الله. فكل من يذهب إلى الله يجب أن يمر عبر الصليب.

كانت الذبائح في العهد القديم تقدم باستمرار، ولم تكن تتوقف إذ كان هناك دائماً ما يذكرهم بأنه يجب عليهم تقديمها مرة تلو الأخرى. تقول رسالة العبرانيين، أن يسوع قدّم كذبيحة مرة واحدة وإلى الأبد. فكانت ذبيحته نهائية. لأنه مات من أجل جميع خطايانا الماضية والحاضرة والمستقبلية. فنحن نخلص من خلال ما فعله يسوع من أجلنا. إن حجتنا الوحيدة هو أنه مات من أجلنا. لأننا لم نخلص بأعمالنا أو من خلال ممارساتنا الدينية أو

بواسطة أخلاقنا الحسنة، ولكننا نخلص فقط من خلال المسيح، خبز التقدمه الذي أُعطي ومُنح لنا.

٣- الخبز المُشبع

نحن نعيش في وقت يسود فيه عدم الشعب. فالعديد من الناس غير راضين أو مكتفين بغض النظر عما لديهم أو أين هو مكانهم. فتجدهم يحاولون دائماً العثور على شيء ما ملء الفراغ في حياتهم، بينما يعلمنا الكتاب المقدس أن هناك جوعاً وعطشاً في حياة الإنسان لا يملأه إلا المسيح. لقد قال القديس أغسطينوس: «يالله لقد خلقنا لذاتك ونفوسنا لن تجد راحتها إلا فيك»، وحقيقةً لقد خلقنا الله وفيها فراغ لن يملأه إلا هو. فإذا وضعنا مُتَع وملذات الحياة في ذلك الفراغ، لن تكفي ولن تُشبع. يتحدث سفر الجامعة عن إنسان حاول أن يجد الشعب من خلال الغنى والعمل والملذات، فكانت النتيجة التي أُستنتجها أخيراً هي أن كل شيء باطلاً. ولكن المسيح وحده هو من يُشبع أشواقنا العميقة لأنه خبز الحياة.

ربما يشبعك خبز الأرض بعض الوقت، لكنه لن يدوم. ولكن بالمسيح سنشبع إلى الأبد. أحب ما قاله إريك سوير عن المسيح، «يسوع لا يجعلنا محبطين أبداً، ولكنه دائماً يُفاجئنا بمفاجآت رائعة. ولن يفعل أبداً أقل مما وعد». ماذا وعد يسوع؟ وعد أن يُشبعنا إلى التمام. يُكتب على العديد من المنتجات هذه الكلمات، «ضمان الشعب» حقاً يمكننا أن نقول هذه الكلمات عن يسوع إذ تنطبق عليه. بل سوف يُشبعنا بما يفوق توقعاتنا ويستمر الشعب إلى المنتهى.

٤- الخبز المحيي

قال يسوع، «أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الْحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هَذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الْأَبَدِ. وَالْخُبْزُ الَّذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْذُلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ». (يوحنا ٦: ٥١)، يجب أن يكون لدينا طعام لنحيا به، فالطعام يمنحنا الطاقة والقوة. وبدون طعام، نصبح ضعفاء وسوف نتضور جوعاً. قال يسوع إنه: «الحياة» فهو يعطي الحياة الأبدية التي تبدأ الآن ولكنها لا تنتهي. ما لم نؤمن به، فلن نختبر هذه الحياة. وكما أن الخبز ضروري للجسد، كذلك خبز الحياة أيضاً ضروري للروح.

من الممكن أن تكون على قيد الحياة جسدياً ولكنك ميت روحياً. ربما تتمتع أجسادنا بالحياة، لكننا أموات روحياً منفصلين عن الله. فكما أن الجسد يهلك بدون خبز هكذا القلب أيضاً. قال يسوع لنيقوديموس أنه ينبغي عليه أن يُولد من جديد. وكان يعني أن نيقوديموس يجب أن يحصل على حياة جديدة. وقد أجابه يسوع عن كيف يمكن أن يحدث ذلك عندما قال، «لِأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ». (يوحنا ٣: ١٦).

٥- الخبز المتوفر

بعض الأطعمة غير متوفرة حتى لو كنت ترغب في تناولها. فقد يؤثر الجفاف أو العواصف على توافرها. وربما يمنعنا غلو التكلفة عن حصولنا على بعض الأطعمة. ولكن ليس هذا هو الحال مع يسوع. لا توجد أبداً رسالة

تقول لك أن الخبز السماوي غير متوفر بل نضمن للجميع أن هناك ما يكفي لهم. ولكن ما الذي نحتاج أن نفعله؟ يجب أن نأتي إلى يسوع ونأخذ هذا الخبز. قال يسوع ذلك من يأتي إليه لن يتركه جائعًا أبدًا: «كُلْ مَا يُعْطِينِي أَلْأَبَ فَإِلَيَّ يُقْبَلُ، وَمَنْ يُقْبَلْ إِلَيَّ لَا أُخْرِجُهُ خَارِجًا.» (يوحنا ٦: ٣٧).

كلنا مدعوون للقدوم إليه، وأنت مُرحب بك للرجوع والقبول. لا يقدر أي أحد في أي وقت أن يقول، «لقد جئت إلى يسوع، لكنه رفضني» أو «لقد أتيت إلى يسوع، لكنه استنفد كل الحياة الأبدية». ولن يقدر أحد أن يدّعي ويقول: «أتيت إلى يسوع، لكن كنت سيئًا للغاية لدرجة أنه لم يستطع فعل أي شيء من أجلي».

إن دعوة الله للجميع فهي دعوة شاملة خاصة جدًا ولوقت محدود. إنه يشملنا جميعًا إن كنا نؤمن ونأتي إلى يسوع. كما إنها لوقت محدد ولذلك سوف ينتهي الأمر إذا رفضنا أن نأتي إليه واخترنا أن نعيش في عدم الإيمان. إن كنت تستطيع أن تأكل، يمكنك أن تأخذ خبز الحياة. لن تجد خبزًا مثل هذا الخبز أبدًا. فتعال وتناوله الآن. لأنك إن كنت تتضور جوعًا روحيًا، فسيكون ذلك بسبب اختيارك. إن خبز الحياة يُعطى مجانًا. فهي تقدم خذ وتناول الآن!

الفصل الثالث

يسوع ماء الحياة

«وَالرُّوحُ وَالْعَرُوسُ يَقُولَانِ: «تَعَالَ!». وَمَنْ يَسْمَعُ فَلْيَقُلْ: «تَعَالَ!». وَمَنْ يَعْطَشُ فَلْيَأْتِ. وَمَنْ يُرِدْ فَلْيَأْخُذْ مَاءَ حَيَاةٍ مَجَّانًا». (رؤيا ٢٢: ١٧).

هل فكرت يوماً كيف ستكون الحياة بدون وجود الماء؟ إننا نستخدمه للتنظيف، والشرب، والطهي، وري الحديقة، والتبريد، والتجميد. قد أشار أحدهم إلى أنه أينما ذهبت تجد هناك حاجة للماء. وكما قدم الله طعاماً للجوع قدم أيضاً ماء للعطاش. أشبع الجموع من العائلات والأصدقاء بالطعام بحبته وتحننه. ولمن يحبون الجمال، أعطى الموسيقى والزهور والطيور. ماذا عن العطاش روحياً؟ في قلب كل إنسان يوجد عطش روحي عميق. هذا العطش هو نفسه مشترك بين جميع الشعوب. والسؤال هنا: ألن يكون أمراً غريباً إذا لم يكن هناك إجابة وتسديد لهذا العطش كما يوجد حلول بالنسبة للحاجات الأخرى؟ يخبرنا الكتاب المقدس أن يسوع هو ماء الحياة لعطشنا. ماذا تخبرنا هذه الحقيقة عن شخص يسوع؟

١- النقاء

أول الأشياء أهمية لنا بالنسبة للماء هو أن يكون نقياً. حيث تأتي الأمراض في كثير من الأحيان من المياه الملوثة. في أحد أوقات فصل الصيف، كنت

أخدم مع طلاب آخرين في جزر البهاما. كانت القرى تعتمد على مياه الآبار للسقي والأرتواء. وكانت تبدو تلك المياه ملوثة وأيضًا لم تكن باردة. فكان علينا وضع بعض الأدوية في الماء قبل أن نشربه، إلا أنها كانت تبدو سيئة فلم تكن لذلك مُسرة بالنسبة لنا ولم تشبعنا أو نرتوي بها.

يسوع هو ماء الحياة. أكثر الأشياء التي قام الناس بملاحظتها في يسوع كانت طهارته. فقد كان مختلفًا عن الناس الذين من حوله. فلن تسمع كلمة غير لطيفة خرجت من شفتيه ولن تسمعه يتكلم بأنانية. قال الحقيقة دائمًا ولم يلجأ مطلقًا إلى الأكاذيب. كان ما يميز يسوع هو قداسته. فهو القدوس وعاش حياة مقدسة. ورغم أن حياته كانت دائمًا تحت المجهر وتحت المراقبة، إلا أنه لم يجد أحد فيه أي خطأ. حتى أعدائه لم يتمكنوا أن يشيروا إلى خطأ فيه. ومن أجل محاكمته حاولوا أن يجدوا علة عليه أو تهمة موجهة إليه. فاتهموه بالتجديف وقالوا، أنه ادّعى أنه الله.

تبرز حياة يسوع كنجم ساطع بين نجوم خافتة. هناك فرق كبير بين يسوع وبين القادة الدينيين في عصره. وبينما كانت هناك ناموسية وسطحية في أشد طائفة صرامة في أيامه، ولكن نرى في يسوع الإخلاص والصدق. وعندما ننظر إلى التلاميذ، نرى أيضًا اختلافًا عظيمًا مقارنةً به. لقد خرج التلاميذ من حياة الخطية ليتبعوا يسوع ولكن لم تكن هذه نهاية إخفاقاتهم. فقد أنكر بطرس يسوع ثلاث مرات بينما كان يسوع يواجه المحاكمة على حياته. وأيضًا تحدث بعض التلاميذ حول من سيكون أعظم حتى عندما كان يواجه يسوع ساعاته الأخيرة قبل الموت. كما اقترح أحد التلاميذ أن يطلب يسوع أن تنزل نار من السماء لتدمير السامريين عندما لم يسمحوا لهم بالمرور عبر أراضيهم.

٢- الوفرة

لسنوات عديدة، لم يقلق الناس كثيرًا بشأن المياه. فقد كانت الأنهار والبحيرات ممتلئة، وكانت توجد وفرة من المياه. ومع ذلك، كان هناك العديد من حالات الجفاف في السنوات الأخيرة، وفي بعض الأماكن، أصبحت المناطق التي كانت خصبة في السابق مناطق صحراوية. وفي بعض الأحيان كان هناك تقنين وترشيد في استخدام للمياه خلال فصول الصيف. وبسبب أن المياه كانت محدودة، فكان يروي بعض المزارعين أراضيهم بشكل محدود بمقدار ما يمكنهم استخدامه من المياه.

ولكن بشرى النعمة السارة تعلن أن هناك ما يكفي من ماء الحياة للجميع. ومهما كانت عظمة خطيتنا، فإنها لن تقلل من إمدادات النعمة. يعتقد الناس في بعض الأحيان أن خطاياهم فظيعة جدًا أو كثيرة جدًا لا يمكن أن يغفرها الله لهم. إذا كان هذا صحيحًا، فإنهم بذلك يجعلوا خطاياهم أعظم من نعمة الله. لقد دعى الرسول بولس نفسه: «رئيس أو أول الخطاة» فكان يعتقد في نفسه أنه أسوأ الخطاة الذين يقفوا على رأس خط مقدمة الخطاة. ومع ذلك علم أن خطاياه كانت عبارة عن تلة صغيرة مقارنةً بجبال نعمة الله. كانت خطاياه كمثلي طينة صغيرة على حافة بركة مقارنةً بمحيطات نعمة الله. وهذا ما عبّر عنه في (رومية ٥: ٢٠)، «وَلَكِنْ حَيْثُ كَثُرَتْ أَلْخَطِيئَةُ أَزْدَادَتْ أَلْنُعْمَةُ جِدًّا». جاءت هذه الآية في ترجمة الملك جيمس وهى تصف تلك النعمة أنها « فائضة الوفرة.»

وهكذا نحن مثل العطشى نقف على مجاري المياه النقية تحيط بنا المياه من كل مكان حولنا، ويمكننا أن نشرب بقدر ما نشتهي. كما يمكننا السباحة

فيه لأنه ممتلئ ونقي. يوجد كل ما نحتاجه ويكفي للجميع. لاحظ الكلمات في (رؤيا ٢٢: ١٧) ما هو الشرط الذي يؤهلنا للأرتواء، «من يُرد» من يريد أن يشرب من هذا الماء فليأتي ويشرب ماءً حي، ذلك الماء الذي يعطي حياة. وهذه المياه تُعطى مجاناً وهي أيضاً وفيرة.

٣- ذات قيمة

بعض الأشياء ذات قيمة لأنها نادرة، وقليلة أو غير متوفرة. عندما كنت صبيًا، كان هناك العديد من كتب الرسوم المتحركة التي لم تكن كثيرة التكلفة وعادة ما يتم التخلص منها. وأما اليوم فإن بعض تلك الكتب المصورة الرخيصة تساوي ٥٠,٠٠٠ دولار أو أكثر. نفس الشيء ينطبق على بعض الطوابع البريدية أو العملات المعدنية. لأنه لا يوجد سوى القليل منهم، سيدفع ذلك هواة جمع مثل هذه الأشياء النادرة لدفع الأموال الكثيرة للحصول عليها.

وأما الأشياء الأخرى ذات القيمة والتي يجب أن نحصل عليها، والتي لا تستطيع العيش بدونها مثل الهواء والضوء والماء، فهي بالنسبة لنا أشياء أساسية. وهي أشياء لا تُقدر بثمن إذ إنها من ضروريات الحياة. يسوع هو ماء الحياة الثمين، فشخصه ثمين. ولا يوجد شخص آخر مثله على هذا الكوكب ولن يكن. يسوع هو الله الظاهر في الجسد. إنه الله وإنسان في شخص واحد. لن يكون هناك أي شخص مثله، فهو حقًا فريد من نوعه.

لقد كانت أعمال يسوع ذات قيمة. ولا يمكن لأي شخص آخر القيام بها أو فعل ما فعله يسوع. ولم يكن أي شخص آخر مؤهلاً ليكون بديلاً عنا حاملاً

خطايانا ويموت من أجلنا. كل ما يخص يسوع ثمين عندما نفكر في محبته وأمانته وكماله وقدرته. يمكنك البحث عبر التاريخ أو في جميع أنحاء العالم سوف تجد أن يسوع يقف وحده متفردًا .

٤- القوة

يمكن أن يوفر الماء الطاقة للتوربينات الكبيرة لإنتاج الكهرباء. يمكن للمياه أيضًا أن تحول الصحارى إلى حقول خصبة حيث تنمو الثمار لإطعام الكثير من الناس. كما نرى تلك القوة عندما تتدفق المياه أسفل شلالات فيكتوريا.

كذلك ماء الحياة له قوة عظيمة. فهي قوة تُطهر خطايانا وتغسلها وتمحوها بعيدًا. في بعض الأحيان يتمنى الناس أن يتمكنوا من بدء الحياة مرة أخرى دون أن يمسك أحد عليهم أي خطأ. في يسوع، هناك قوة لتغييرنا وجعلنا أشخاصًا لدينا رغبات وأهداف جديدة في الحياة. هذا هو الماء الذي سوف يروي عطش أرواحنا.

ذات يوم جلس يسوع بالقرب من بئر يعقوب. وبينما اقتربت امرأة سامرية نحو البئر، طلب يسوع منها أن تعطيه ليشرب ماء. أخبرها يسوع أنها سوف تعطش مرة أخرى إذا شربت من هذا الماء، لكنه يمكن أن يمنحها الماء الحي الذي يمكن أن يُشبعها إلى الأبد.

هل يمتلك يسوع القدرة على تغيير الحياة اليوم؟ بالحقيقة يستطيع فعندما يدخل في حياة غير متناغمة، يعطي أغنية. وعندما يأتي إلى حياة

يسودها الكراهية والمرارة يعطي المحبة. وعندما يأتي إلى حياة مظلمة يائسة، يعطي الأمل والنور. عندما يأتي إلى حياة يسودها الموت، يعطي حياة وفيرة.

هل كان لدى يسوع القدرة على تغيير المضطهد شاول إلى المبشر بولس؟ هل كان لدى يسوع القدرة على تغيير المرأة التي كانت دائماً تبحث عن الحب ولكنها فشلت أن تجده في شخص جديد؟ هل يسوع المسيح لديه القوة لتغيير إنسان متوحش لم يستطع أحد السيطرة عليه إلى إنسان حرٍ ضابطاً لنفسه؟ يُظهر الكتاب المقدس الإجابة على كل هذه الأسئلة. نعم صنع يسوع كل ذلك وأكثر من ذلك بكثير.

ماذا يستطيع يسوع أن يفعل؟ يمكنه أن يغفر خطايانا ويخلص أرواحنا، ويعطينا حياة جديدة. قد نكون متدينين مثل نيقوديموس، لكن ما زلنا بحاجة إلى حياة جديدة. قال له يسوع، «ينبغي أن تُولد من من فوق». قال يسوع لبعض الناس، «اتبعوني». قال بولس، «إِذَا إِن كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الْأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا أَلْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا» (٢كورنثوس ٥: ١٧)، هناك آية في رسالة العبرانيين تخبرنا بما يمكن أن يفعله المسيح اليوم. «فَمَنْ تَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يُخَلَّصَ أَيْضًا إِلَى التَّامِّ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى اللَّهِ، إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ.» (عبرانيين ٥: ٢٧).

ما هي شروط التمتع بهاء الحياة؟ يجب علينا أن نريده ويجب أن نأتي إليه. ينبغي أن ندخل الماء. إن مياه الحياة أعمق من أعمق المحيطات وأقوى من الشلالات الرائعة. انغمس في اليوم واشرب هذا الماء من أجل نفسك العطشانة. فالماء مجاني ووفير. إذا كنت عطشان و تريد الماء الذي

يُطهرُك ويُسبِّعُك إلى الأبد، تعال واشرب. يسوع هو دعوة الله لنا فهو ينتظرنا
ويدعونا لنأتي إلى الماء الحي.

الفصل الرابع

يسوع هو الطريق

«قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الْآبِ إِلَّا بِي. لَوْ كُنْتُمْ قَدْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضًا. وَمِنْ الْآنَ تَعْرِفُونَهُ وَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ». قَالَ لَهُ فِيلِبُّسُ: «يَا سَيِّدُ، أَرِنَا الْآبَ وَكَفَانَا». قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا هَذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلِبُّسُ! الَّذِي رَأَيْتَ فَقَدْ رَأَى الْآبَ، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: أَرِنَا الْآبَ؟» (يوحنا ١٤: ٦-٩).

نحن نعيش في زمان يتميز بالطرق السريعة الفائقة المصممة للسرعة والأمان. كما توجد اليوم طرق سريعة بها عدة ممرات لحركة المرور تكاد تكون مثل النهر وأنت ترى سرعة العديد من السيارات والشاحنات التي تتقدم للأمام. وأيضًا هناك العديد من الشوارع المسدودة أو الطرق المسدودة في الأحياء، لكنها ليست طرقًا عامة.

في صحاري الحياة، هل هناك طريق آمن يمكن الاعتماد عليه؟ أعتقد أنه يوجد. يسوع هو الطريق الذي قال، «أنا هو الطريق، والحق، والحياة.» في رحلة الحياة، نحتاج إلى طريق لا ينتهي إلى طريق مسدود. نحتاج إلى طريق سريع يؤدي إلى السماء، ويسوع هو ذلك الطريق السريع.

١- يسوع هو الطريق للذهاب إلى بيت الآب

دائمًا ما نشعر بالقلق عندما لا نعرف ما الذي ينتظرنا في نهاية رحلة ما. ولكن هذا ليس مطلوبًا عندما نسافر مع يسوع لأنه يخبرنا عن نهاية الرحلة. ربما لا يقول لنا كل شيء، لكنه يخبرنا بما فيه الكفاية حتى نتمكن من متابعة الرحلة بسلام وترقب.

كان يسوع يدعو السماء بشكل ملحوظ: «بيت أبي» كما أنه كثيرًا ما تحدث عن الآب، وعلمنا أن نصلي إلى الله: «أبانا السماوي». بقوله هذا، علمنا يسوع الكثير عن وجهتنا. يدعو السماء «بيت الآب». يخبرنا هذا أن الذهاب إلى السما سيكون مثل العودة إلى المنزل. أنه يكون مثل الذهاب إلى المكان الذي طالما حلمنا به، وبالنسبة لنا ليس هو مكان غريب بل مكان مريح مكان الحب والعائلة.

أثناء دراستي للغة في اليابان، قمت برحلة إلى هوكايدو إلى خدمة تبشيرية. وكانت الرحلة بالقطار، وعندما انطلق القطار من الجبال إلى توكاتشي، كان لديّ أغرب شعور شعرت به وهو كأنني قادم إلى المنزل، وكأنني ذاهب إلى مكان أنتمي إليه، حيث ذهبت إلى أول مهمة تبشيرية. أعتقد أنه سيكون شعورًا مشابهًا عندما نذهب إلى السماء.

أطلق جوناثان إدواردز على السماء اسم «محيط الحب». إن ما قد أختبرناه من محبة الله الآن يكون مثل قطرات قليلة مقارنةً بنهرٍ متسعٍ شاسع أو مثل شرارة أو شرز مقارنةً بالشمس الحارقة. أنه يُشبه الطفل الذي وُلد للتو موضوعًا بين ذراعي الأم.

نحن نعلم أن السماء مكانًا جميلًا. كيف لا يكون غير ذلك وهو بيت الآب؟! قال يسوع أنه ذهب لكي يعد ويجهز مكان لنا. إذا كانت الأرض التي خلقها جميلة جدًا، تخيل كم سيكون منزلنا الأبدي أجمل بكثير. لقد شوهدت الخطية الكثير من جمال الأرض، ومع ذلك لا يزال يوجد الكثير من الجمال هنا. وإن أصبحت أجمل البيوت هنا قديمة، لكن لن يكون هناك ما يفسد جمال السماء.

إن بيت الآب هو مكان الشركة. فهو ليس بيت العدم (الاشي) أو السلبيه (الافاعليه). قال يسوع، «حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا» (يوحنا ١٤: ٣)، لذلك فإن السماء ستكون مكانًا للوجود الواعي لحضوره. تحدث بولس عن موتنا ووجودنا مع المسيح. وهذا ما تدور حوله السماء، ليس ذهابنا إلى القبر في مكان ما ولكن الذهاب إلى محضر المسيح الحي الذي مات لأجلنا.

٢- يسوع هو الطريق لرؤية وجه الآب

واحدة من أعمق رغبات الإنسان معرفة الله. نريد أن نعرف الله، لكننا لا نستطيع رؤيته. إننا نرى آثار أقدامه في كل مكان، ونبصر بصمات أصابعه في جميع أنحاء الكون. وبعض الناس يبحثون عن الله من خلال ما تكشفه الطبيعة. وبالحقيقة تكشف الطبيعة أشياء كثيرة عن الله. في الطبيعة نرى حكمة الله وقوته. وأيضًا كثيرًا ما يبحث الناس عن الله من خلال كتابات العظماء كما يمكننا أن نتعلم بعض الأشياء الثمينة من إختبارات الآخرين. أراد فيلبس أن يعرف المزيد عن الآب، فاستجاب يسوع لطلبه بقوله، «الَّذِي رَأَيْتَ فَقَدْ رَأَى الْآبَ» (يوحنا ١٤: ٩).

في الحقيقة إننا نرى الله عندما ننظر إلى يسوع الذي هو إعلان الله. يسوع هو عمانوئيل الذي يعني: «الله معنا»، يسوع هو الله الظاهر في الجسد. هل الله قدوس؟ انظر إلى يسوع. هل الله محب؟ انظر إلى يسوع. هل الله أمين؟ انظر إلى يسوع. من خلال يسوع نأتي إلى معرفة الله وبه نأتي إلى الله، فهو الطريق والسبيل إلى السماء.

إننا نسمع الله عندما نسمع يسوع. فيسوع قد تكلم بكلمات الله. إذا كنت تريد أن تسمع الله يتكلم، فأقرأ كلمات يسوع. أليس هذا ما قصده يسوع عندما قال، «أَلَسْتُ تُؤْمِنُ أَيَّ أَنَا فِي الْآبِ وَالْآبِ فِيَّ؟ أَلَكَلَامُ الَّذِي أَكَلَّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لَكِنَّ الْآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الْأَعْمَالُ». (يوحنا ١٤: ١٠) لذلك نرى الله يعمل عندما ننظر إلى أعمال يسوع. فقد عمل يسوع أعمال الله إذ كان يسوع في الآب والآب في يسوع. وما فعله يسوع صنعه بقوة الآب. فيسوع والآب واحد. فنحن لا نؤمن بثلاثة آلهة لأنه إله واحد في ثلاثة أقانيم.

نعلم أن الله تحدث عن نفسه في رسالة العبرانيين بأنواعٍ وطرقٍ كثيرة في الماضي. كما تكلم من خلال الأنبياء مثل إشعياء وإرميا، لكن كلمته الأخيرة كانت من خلال يسوع. «الله، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الْآبَاءَ بِالْأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْآخِرَةِ فِي ابْنِهِ، الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ، الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءَ مَجْدِهِ، وَرَسُمُ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلُ كُلِّ الْأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ، بَعْدَ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيرًا لِخَطَايَانَا، جَلَسَ فِي يَمِينِ الْعُظَمَى فِي السَّمَاوَاتِ» (عبرانيين ١: ٢-٣).

إذا كنت تريد أن تعرف الله، فستحتاج أن تأتي إلى يسوع لأنه «بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ.» يسوع هو الطريق إلى الآب نفسه. فإن ننظر إلى يسوع فهذا يعني النظر إلى الله. وهذا يعني أيضًا أن الطريق لمعرفة الله هو من خلال يسوع الذي أعلن الله لنا.

٣- يسوع هو الطريق لعمل أعمال الآب

هل تريد أن تخدم الله وتقوم بأشياء عظيمة من أجله؟ بالحقيقة يمكنك أن تقوم بمثل هذه الأعمال حتى مع ضعفك وعجزك. ولو كانت هذه هي المشكلة، فلن يستخدم الله أي منّا. فكلنا لدينا ضعفات. كما أن الله لا يستخدمنا لأننا أقوياء، بل على العكس. قال بولس، «وَلَكِنْ لَنَا هَذَا أَلْكَنْزُ فِي أَوَانٍ خَزَفِيَّةٍ، لِيَكُونَ فَضْلُ الْقُوَّةِ لِلَّهِ لَا مِنَّا.» (كورنثوس الثانية ٤: ٧)، إن سر الخدمة في الحياة المسيحية هو الاعتماد على يسوع. فالأمر لا يرجع إلى ما يمكننا أن نقوم به، ولكن ما يمكن أن يفعله يسوع من خلالنا. لا شك أن الرب يسوع قد أدهش الكثير من الناس عندما قال أننا سنستطيع أن نفعل الأشياء التي فعلها ولذاك يمكننا أن نطلب أي شيء باسمه. هذا يعني أننا نسأل حسب قصده. كيف يمكننا أن نفعل الأشياء التي تكلم بها يسوع؟ إنه بالتأكيد ليس من خلال قدرتنا وفهمنا. أنني أو من أنا يمكننا الإجابة على هذا السؤال في هذه الكلمات. «أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّنِي.» (فيلبي ٤: ١٣)، قال يسوع، «لِأَنَّكُمْ بِدُونِي لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا.»

نحن لا نعيش الحياة المسيحية وحدنا ولكننا نعيش في المسيح ومن خلال المسيح. فيسوع هو طريق الحياة المسيحية. وهو من نصلي باسمه، وهذا

يعني أن نصلي طبقاً لمشيئته. عندما نقول أنه يمكننا أن نطلب أي شيء، يجب أن نتأهل أن نسأل أي شيء حسب إرادته. هناك من يصلي بطريقة أنانية. الرب ليس إلهاً قاسياً لكنه الإله الحي الذي يريد خيراً لأبنائه، ليس فقط لنا بل للمؤمنين الآخرين أيضاً. لذا، يجب أن نأتي معتمدين عليه كأطفال، نسأله بجرأة إيمان. الطريقة الوحيدة التي يمكننا بها الصلاة بشكل صحيح هي من خلال التعرف على يسوع. يجب أن نقضي الوقت في كلمته لأن هناك، سنجد كيف عاش يسوع والطريقة التي يريدنا أن نحيا بها.

لدينا أعظم سبب لإختبار الفرح عندما نتعرف على يسوع. يمكننا أن نعيش بثقة ونصلي بجرأة ونخدم بأمانة. فنحن نعلم إلى أين يؤدي هذا الطريق، يسوع هو الطريق إلى الآب. إنه الطريق إلى كل شيء يمكن أن نأمله، الطريق إلى كل ما هو جميل وكل ما هو دائم. يسوع هو الطريق إلى بيت الآب وعائلة الآب. هل أنت مثل فيلبس تطلب أن تعرف الله؟ هل تضطرب مثل التلاميذ عندما تشعر بغياب يسوع؟ لقد وعد أنه لن يتركنا أبداً. إنه الطريق وسيكون معنا طوال الطريق إلى بيت الآب فهو الذي قال: «لَا تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ. أَنْتُمْ تَوَمِّنُونَ بِاللَّهِ فَأَمِنُوا بِي» (يوحنا ١٤: ١)، كان هناك بعض الطرق الشهيرة في التاريخ، وبعضها لا يزال مستخدماً حتى اليوم لكنها قد تغيرت مع الوقت. يسوع هو الطريق الذي لا يحتاج إلى إصلاح وسيستمر إلى الأبد ويؤدي إلى محضر الله الآب.

الفصل الخامس

يسوع صديق الخطاة

«ثُمَّ دَخَلَ وَاجْتَاَزَ فِي أَرِيحَا. وَإِذَا رَجُلٌ أَسْمُهُ زَكََّا، وَهُوَ رَئِيسٌ لِلْعَشَارِينَ وَكَانَ غَنِيًّا، وَطَلَبَ أَنْ يَرَى يَسُوعَ مَنْ هُوَ، وَلَمْ يَقْدِرْ مِنَ الْجَمْعِ، لِأَنَّهُ كَانَ قَصِيرَ الْقَامَةِ. فَكَضَّ مُتَقَدِّمًا وَصَعِدَ إِلَى جُمَيْرَةٍ لِكَيْ يَرَاهُ، لِأَنَّهُ كَانَ مُزْمِعًا أَنْ يَمُرَّ مِنْ هُنَاكَ. فَلَمَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى الْمَكَانِ، نَظَرَ إِلَى فَوْقُ فَرَأَاهُ، وَقَالَ لَهُ: «يَا زَكََّا، أَسْرِعْ وَأَنْزِلْ، لِأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَمُكَّتَ الْيَوْمَ فِي بَيْتِكَ». فَاسْرَعَ وَنَزَلَ وَقَبِلَهُ فَرِحًا. فَلَمَّا رَأَى الْجَمِيعُ ذَلِكَ تَذَمَّرُوا قَائِلِينَ: «إِنَّهُ دَخَلَ لِيَبِيتَ عِنْدَ رَجُلٍ خَاطِئٍ». فَوَقَفَ زَكََّا وَقَالَ لِلرَّبِّ: «هَا أَنَا يَارَبُّ أُعْطِي نِصْفَ أَمْوَالِي لِلْمَسَاكِينِ، وَإِنْ كُنْتُ قَدْ وَشَيْتُ بِأَحَدٍ أَرُدُّ أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «الْيَوْمَ حَصَلَ خَلَاصٌ لِهَذَا الْبَيْتِ، إِذْ هُوَ أَيْضًا ابْنُ إِبْرَاهِيمَ، لِأَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ». (لوقا ١٩: ١-١٠).

عُرف عن يسوع أنه كان صديقًا للخطاة وعامة الشعب. وهذا كان واضحًا من الرفقة التي كانت تسير ورائه. فقد التقى مع أناس سيئي السمعة وتحدث معهم. كما ذهب إلى حيث كانوا يعيشون وقد قاموا بزيارات معه. وأيضًا انتقده الفريسيون لأنه كان يتجول مع الناس الذين رفضهم المجتمع المتمدن. ولكن أعلن يسوع أن هذا هو القصد من مجيئه، وهو يشرح لهم لماذا قضى وقتًا مع المرفوضين والمنبوذين. وقد كان هدفه: «أن يطلب ويخلص ما قد هلك».

أي نوع من الأصدقاء كان يسوع؟ إنه ليس بذلك الصديق الذي يختار من هم في مكانة عالية. فلم ينتظر من يأتي إليه، لكنه نزل إلى الشارع يتقابل مع الناس في مكان معيشتهم. ولم يكن يسوع يعيش عاليًا في برج من العاج لكنه ذهب إلى الأشخاص المضطربين، ومن كان يتجاهلهم الكثيرون، واليائسون من الشفاء، والمفلسين أخلاقياً. كان من هؤلاء الناس زكا الذي كان يكرهه معظم الناس لأنه كان جابي الضرائب للحكومة الرومانية. وقد كان من المعروف أن جامعي الضرائب يملأون جيوبهم ممن قد جمعه من ضرائب وأصبحوا أثرياء من فعل ذلك.

١- يفهمنا تماماً

ربما كان لدى زكا أصدقاء قليلون لأن الناس كانوا يعتبرون العشارين أعداء، ومن المرجح أن يكون أصدقاؤه فقط من جباة الضرائب الآخرين المكروهين من الناس أيضاً إذ كانوا يُعتقد أنهم خونة خانوا شعبهم. فكانوا لا يثق به المواطنون العاديون. ولكن يسوع جاء إلى هذا الرجل الوحيد، وتغير كل شيء لهذا المنبوذ. لقد وجده يسوع إذ كان فاتحاً قلبه لكي يقبل يسوع. وبالرغم من أنه كان غنياً إلا أنه كان طائعاً.

قد يكون حجمه عائناً كبيراً بالنسبة له لأنه كان قصير القامة فتسلق الشجرة ليرى من أعلى فوق الحشود. ربما عانى من السخرية وهو صغير إذ ربما قد تالم كثيراً من نكات الآخرين. فقد يكون البعض قساة في ما يقولونه للآخرين، وبالتأكيد حدث لزكا الذي كان رجلاً قصيراً.

ولكن يسوع صديق الخطاة قد فهمه تمامًا. إذ نظر إلى ما وراء المظهر الخارجي والأشياء التي عادةً ما تكون هامة بالنسبة للناس. رأى قلبًا وحيدًا وحياءً محتاجة ونفسٌ مُفلسة. ولو سألت زكا قبل أن يتقابل مع يسوع، ربما كان ينكر كل هذه الأشياء، لكن يسوع فهم حاجته بالكامل. لم يفهمه الآخرون، وربما لم يفهم زكا نفسه، لكن يسوع نظر في قلبه فرأى رجلًا ضالًا.

في بعض الأحيان لا نتحدث عن مواقف حياتنا لعائلتنا أو أصدقائنا لأننا نعتقد أنهم لن يفهمونا وهذا ممكن تمامًا. قد لا يكون لديهم الوقت أو حتى غير مهتمين للاستماع إلينا، لكن يسوع كان يفعل ذلك دائمًا. فقبل أن نقول كلمة واحدة، يعرف يسوع أين نحن وما نحتاج إليه والاتجاه الذي نتجه إليه. ومهما تكلمنا عن أنفسنا أو تكلم أي شخص آخر ليصفنا لن يزيد أو يغير معرفة يسوع عنا.

قد يحاول الشخص إخفاء ماضيه عن صديق أو أفراد عائلته. إنهم يخشون أن تتغير علاقتنا معهم إذا عرفنا ماضيهم. وبينما نحن ضائعون ومربكون يأتي يسوع إلينا بالرغم من أنه يعرف تاريخنا بالكامل. ربما نعيش في مثل هذا المكان المظلم حيث لا نفهم بأنفسنا. فقط، وبمجرد أن يأتي يسوع بنوره لمثل هذا المكان بنوره نستطيع أن نفهم.

٢- يدعو بحنان

بعض الدعوات تُقدم بطريقة فظة لدرجة أنها تشبه إلى حد كبير كمن يُقدم إنذارات. ولن ترغب أبدًا في قبول مثل هذه الدعوة بسبب موقف

الشخص الذي يدعو بهذه الطريقة. إذ تشعر أن ليس لديهم أي اهتمام بك وأنه مجرد سؤال بلا مبالاة. ولكن لم يكن يسوع كذلك لأنه دعا زكا بالاسم. لم يكن مجرد رقم في قائمة يسوع بل كان شخصًا في حاجة ماسة مهمًا جدًا بالنسبة له. الله شخص وهو يتصل بنا كأشخاص. إنه لا يعاملنا على أننا كائنات مجهولة أو أشخاص منبوذة وميؤوس منهم. وبالرغم أن هناك بلايين من الناس إلا أن الله يعرفنا جميعًا ويدعونا كل واحد باسمه.

تكلم يسوع عن مثل الراعي وخرافه. فقال أن ذلك الراعي كان يدعو كل خرافه بالاسم. قد يكون اسمك هو مثل كثيرين آخرين، لكنك شخص مختلف. فلا يوجد شخص آخر مثلك تمامًا. من أحشاء أمك والله يعرفك، ولديه خطة لك، وهو دائمًا يسعى إلينا. لم يتكلم يسوع مع زكا بالاتهامات أو الازدراء، ولكن تكلم إليه بحنان وحب. وهذا يخبرنا كثيرًا عن الطريقة التي يجب أن نتحدث بها مع الآخرين عن الحياة المسيحية. فإذا تعاملنا مع الآخرين بإدانتهم والحكم عليهم وبأننا أفضل منهم، سنُبعد الناس عن المسيح بدلًا من أن نقودهم إليه.

إن موقف يسوع المحب جذب إنتباه وإقتناع زكا. سأل يسوع أن يأتي إلى بيته، وبحضور يسوع تغيرت حياة زكا المُعدمة وقدم توبة حقيقية. وبالرغم من أن معظم الناس قد نبذته، لكن يسوع قد جاء إليه. جاء إليه صديق الخطاة بنعمة قلبه وشفتيه، من منّا لا يريد صديق مثل هذا؟

إذا قرأت دعوات يسوع، فستفهم كم كانت دائمًا ممتلئة بالمحبة والحنان وموجهة بطريقة شخصية وعاجلة. كان زكا آخر رجل تعتقد أن يسوع سيزوره،

ولكن هناك كانت ضرورة مُلحة ظهرت فيما قاله يسوع: «اليوم» وليس غدًا أو في وقت آخر. ولذلك فإن الدعوة إلى الإيمان لا يجب أن نتأخر عليها، فرمما كانت هذه هي الفرصة الوحيدة التي حصل عليها لأن يسوع لم يمر بهذا الطريق مرة أخرى. يمكن أن نجمع جميع الدعوات الواردة في الكتاب المقدس في الدعوة الموجودة في (متى ١١: ٢٨): «تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الْأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لِأَنِّي وَدِيعٌ وَمَتَوَاضِعٌ لِقَلْبٍ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنَفُوسِكُمْ. لِأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ».

٣- يُغَيِّرُ بِشَكْلٍ رَائِعٍ

لم يكن هناك شك في أن زكا كان ضائعًا. هل اختبرت يومًا ما أنك ضللت الطريق في وقت سابق أثناء قيادة سيارتك واضطرت إلى التوقف وطلبت معرفة الاتجاهات الصحيحة؟ لقد تهت مرة واحدة في طوكيو باليابان ولم أكن أعرف أين كنت وكيف أعود إلى منزلي. وفي النهاية، وجدت الطريق، ولكن الأشخاص الضالين روحياً لا يمكنهم أن يجدوا الطريق بمفردهم بشكل مُستقل. لم يستطع زكا أن يجد الطريق وحده حتى التقى بيسوع. لقد كان ضائعًا في إخفاقاته، كما أنه قد خسر كثير من الناس الذين كانوا يكرهوه وربما كان ساقطًا في الشفقة على الذات.

يبحث يسوع دائماً عن الأشخاص الضالين. تكلم يسوع ذات مرة عن المرأة التي فقدت قطعة نقودها، فبحثت بجدية حتى وجدها. كما أنه تحدث عن الراعي الذي ذهب للبحث عن خروف ضال. أخيرًا، تحدث عن رجل أخذ الابن الصغير نصيبه من الميراث، وذهب بعيدًا عن بيته وبذر ماله بعيش

مُسرف، ثم أراد أن يأكل ما تأكله الخنازير. وبالرغم من أنه خسر كل شيء، لكنه عاد إلى المنزل ووجد ترحيبًا رائعًا من أبيه الذي أخطأ ضده.

لم يطلب يسوع من زكا أن يدرس لوقت طويل أو يغير حياته أولًا. ولكن قد غيره يسوع، والدليل على ذلك هو ما فعل زكا، قال، إنه إن كنت ظلمت أحدًا فسوف أرد أربعة أضعاف، وسوف أعطي نصف ممتلكاتي للفقراء. لقد ظلم الكثير من الناس، وأراد بذلك أن يعيد تصحيح سلوكه. كيف حدث كل هذا التغيير؟ حدث ذلك عندما تقابل مع يسوع الذي غيّر حياته إلى إنسان جديد له رغبات جديدة وهدف جديد للحياة.

إذا تقابلنا مع يسوع، فما هي بعض الأشياء التي يريد أن يغيرها فينا؟ إنه يريد أن يُغير طريقة تفكيرنا ودوافعنا نحو الأشياء التي نقوم بها. وسوف يغير اتجاه حياتنا «إِذَا إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الْأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا أَلْكُلُ قَدْ صَارَ جَدِيدًا» (٢كورنثوس ٥: ١٧). جاء المسيح ليقيم في بيت زكا ليلة، لكنه يأتي للبقاء في حياتنا إلى الأبد. إنه يُقيم فينا إلى الأبد. فقط فُكِّر في هذا الأمر! المسيح سوف يعيش معك إلى الأبد. هل تود أن تقابل صديق الخطاة؟ أنت لا تحتاج إلى موعد سابق لمقابلتك، كما لا تحتاج أن تذهب إلى مكان خاص إذ يمكنك مقابلتك أينما كنت، إن كان لديك قلب متواضع، ذلك القلب الذي يبحث عن قلب جائع. إن صديق الخطاة بالقرب منك. ألا تدعوه إلى حياتك كما فعل زكا؟!

الفصل السادس

المسيح نور العالم

«ثُمَّ كَلَّمَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا قَائِلًا: «أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتَّبَعْنِي فَلَا يَمِشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ». (يوحنا ٨: ١٢).

من هو يسوع المسيح؟ هذا هو واحد من أهم الأسئلة التي سنطرحها على الإطلاق. أجاب يسوع على هذا السؤال بطرق عديدة. فعلى سبيل المثال قال يسوع أنه نور العالم. وبالرغم من أن هذه الكلمات بسيطة لكنها عميقة المعنى.

يُدعى الله في العهد القديم «نور»، «الرَّبُّ نُورِي وَخَلَاصِي، مِمَّنْ أَخَافُ؟ الرَّبُّ حِصْنُ حَيَاتِي، مِمَّنْ أَرْتَعِبُ؟» (مزمور ٢٧: ١)، كما يتحدث العهد الجديد أَيْضًا عن الله على أنه «نور»، «وَهَذَا هُوَ الْخَبَرُ الَّذِي سَمِعْنَاهُ مِنْهُ وَنُخْبِرُكُمْ بِهِ: إِنَّ اللَّهَ نُورٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمَةٌ أَلْبَنَّةٌ». (١ يوحنا ١: ٥)، فلا أحد يجرؤ على التحدث بالطريقة التي فعلها يسوع. عندما قال يسوع أنا هو نور العالم، فالمعنى لا يحمل معنى آخر؛ كان يسوع يُعلن صراحة أنه هو الله.

١- نور يحمل سرًا

الشخص الذي يقول إنه يعرف كل شيء عن يسوع المسيح لا يعرف الكثير. قال أحد القساوسة أن يسوع يجلب سرًا إلى كل من يلمسه. هذا صحيح، إنه قدوس ويُدعى: «شمس البر» و «كوكب الصبح المُنِير».

يمكن للنور الذي نرى من خلاله أن يُصيب البعض بالعمى أيضًا إذا كان شديدًا. فبعض الناس الذين يتعاملون مع الأنوار الساطعة يرتدون نظارات خاصة لحماية عيونهم. كما أننا عندما ننظر إلى الشمس، ما هو المقدار الذي نراه؟ إننا نرى القليل جدًا وإذا حاولنا تحديق عيوننا في الشمس قد تؤذيها. وفي حالة حدوث كسوف، غالبًا ما يتم إعطاء تحذير لحماية عينيك. ماذا يحدث عندما يلتقي الناس بنور العالم؟ أنهم يصيبهم الخوف أو الدهشة. فعلى سبيل المثال، أُصيب بولس بالعمى لمدة ثلاثة أيام عندما التقى بيسوع على الطريق وهو ذاهب إلى دمشق. فالنور الذي أشرق عليه كان أكثر لمعًا وإشراقًا من الشمس.

هناك أشياء كثيرة يمكننا أن نتعلمها عن يسوع. إننا نستطيع أن نعرفه، لكنه يخفي عنا أشياء كثيرة برحمته. حتى لو أوضح لنا، لن نفهمها في حالتنا الحالية. إذ سيكون هناك دائمًا أعماق ومرتفعات في المسيح. لأن يسوع هو الله والإنسان في شخص واحد. وحيثما يوجد يسوع سوف يكون هناك دائمًا سرًا. ونحن نقبل هذه الحقيقة عندما نعرفه.

٢- نور يُعطي جمال

يضيفي النور جمالًا على الزهور، والجواهر، والجبال، كل شيء. فبدون النور، غالبًا ما تكون الأشياء مظلمة وقبيحة، لكن وجوده يأتي بالجمال. فالأشياء تبدو مختلفة في وجود النور. وكذلك بدون المسيح تمتلئ الحياة بالظلمة والقُبْح. إن المسيح جميل في أقواله وأفعاله. فلم يقل أحد من قبل الكلمات التي قالها يسوع. ولم يعيش أحد مثلما عاش يسوع الذي كان جميلًا في ولادته وحياته وموته.

نتحدث أحيانًا عن جمال شروق وغروب الشمس. من ذلك الذي أبدع في غروب وشروق الشمس؟ أنه الشخص الذي يدعو النور إلى العالم. فكل جمال الطبيعة يُشير إليه. ولذلك نُرنم الترنيمة التي تقول: «يسوع أجمل رب» التي تُشير إلى جماله. فأكثر شخص جميل يمكن أن تراه هو يسوع. تمامًا مثل النور الذي يجعل الأشياء جميلة، لذلك يُعطي يسوع جمالًا لحياتنا. وهو من يأخذ قلبًا قبيحًا ويجعله جميلًا. تحدث الدكتور ج. سيدلو باكستر عن زيارة إلى أفريقيا ذات مرة. وبينما كان يعظ، لاحظ وجه المترجم الذي بدأ وجهه يلمع. كان يرى أنه كان أجمل وجه لم يسبق له أن يرى مثيله ولم يستطع أن يرفع عينيه عن النظر عليه. وعندما غادروا الاجتماع، رأى رجلًا جالسًا تحت شجرة ورأى أن صورته كانت بشعة وقبيحة جدًا. قال المبشر وهو يفكر أعتقد أن بريتر كان يشبه ذلك الرجل تمامًا حتى التقى بالمسيح. فيسوع المسيح قد غيّر حياته، وكان جمال المسيح يضيء من داخله.

يسوع هو نور العالم. وعندما يأتي يسوع يهرب الظلام، ويأتي الجمال. عندما يأتي، يمكننا أن نرى لأنه عندئذٍ ستفتح عيوننا الروحية، وسيغمرنا النور. وسوف تكون الأشياء التي في الداخل مختلفة، وسوف يتغير كل شيء.

٣- نور يأتي بالمعرفة

هل سبق لك أن حاولت قراءة شيء ما في الظلام أو أن تُصلح شيء ما في الظلام؟ إنه من الصعب حتى أن تسير في مكان مُظلم. فمن السهل السقوط أو الوقوع في شيء ما في الظلام أو أن تجرح نفسك. ربما استخدمت سابقًا تعبير «أنا أرى» التي تعني أننا نفهم ما يقال. إن الظلام هو رمز الجهل والخطية والموت.

يكشف النور عن حالتنا الحقيقية بأن يجعلنا مدركين لخطايانا. وهذا هو السبب الذي يجعل الكثير من الناس لا يأتوا إلى المسيح. إنهم يشعرون بعدم الارتياح برجعهم ليسوع لأنهم لا يريدون أن يتخلوا عن خطاياهم. ففي الظلام، يمكننا إخفاء الكثير من الأشياء، لكن لا يمكننا فعل ذلك في النور. هل سبق لك وتساءلت لماذا تُرتكب معظم الجرائم في الليل؟ في الواقع لأنه يسهل على المجرمين الإختباء والإبتعاد. أعطى يسوع هذا التوضيح عن لماذا يبقى الناس في الظلام، «لَأَنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ السَّيِّئَاتِ يُبْغِضُ النُّورَ، وَلَا يَأْتِي إِلَى النُّورِ لِيَلَّا تُوبَّخَ أَعْمَالُهُ. وَأَمَّا مَنْ يَفْعَلُ الْحَقَّ فَيَقْبَلُ إِلَى النُّورِ، لِكَيْ تَظْهَرَ أَعْمَالُهُ أَنَّهَا بِاللَّهِ مَعْمُولَةٌ» (يوحنا ٣: ٢٠-٢١).

هل تعرف المسيح شخصياً؟ إنك سوف تعرفه عندما تأتي إليه، وبينما تسير ورائه وتتبعه، ستتعلم المزيد و أكثر عنه. ومعنى أن تتبعه هو أن تصبح تلميذاً ومتعلماً. وكلما اقتربنا إلى النور، كلما عرفنا وتعلمنا أكثر.

٢- النور يأتي بالفرح

لقد عشت ذات مرة في مدينة ذات طقس ضبابي كثير الغيوم خلال شهري يونيو ويوليو. وفي بعض الأحيان كانت الشمس مختفية خلف الغيوم لعدة أيام فكان من السهل أن تصاب بالاكئاب. ومتى كنت أسافر بضعة أميال إلى داخل البلاد، قد تكون الشمس مشرقة. وكنت أشعر بالراحة عندما كانت الشمس تُذيب الضباب. فكانت الأشياء تبدو بشكل مختلف.

عندما يضيء نور العالم في حياتنا، فإنه يأتي بالفرح. فلا تخف ممن يدعون أن يسوع سوف يحرمكم من الفرح، لكنه في الحقيقة لن نختر الفرح حقاً

حتى نلتقي بيسوع. قد تجعلنا بعض الأشياء سعداء، لكن السعادة تتغير وفقاً لما نحن عليه أي بحسب ما نمتلكه أو نعجب به. بينما الفرح الحقيقي لا يتغير بهذه الطريقة لأنه يأتي من الله. فالمال والسرور وأشياء من هذا القبيل لن تجلب الفرح، بل غالباً ما يكون العكس تماماً. إننا نحتاج إلى النور وفي نور المسيح، سنختبر الفرح الحقيقي.

يأتي المسيح بفرحٍ أبديٍّ، ولا شيء يمكن أن يفسد هذا الفرح. حتى الموت لا يمكن أن يسلب فرحنا. نعم، ربما يحزن المسيحيون المؤمنون مثل غيرهم من الناس، لكننا لا نياس. إذ نحن نعلم أن أحبائنا الذين رقدوا، فقط انتقلوا إلى الفرح الأبدي. فإن تكون مع المسيح فهذا يعني أن يكون لديك فرح ليس له نهاية قد بدأ بالفعل من هذه الحياة. عندما كنت طالباً في مدرسة الكتاب المقدس، توفي مدير المدرسة. وأتذكر أن جوقة التسبيح كانت تُرنم في جنازته وتهتف: «هللويا» وقد كانت خدمة رائعة. وبالرغم من أنه كان يوجد حزن ولكن أيضاً شعور بالنصر وهم يسبحون. فالؤمن المسيحي يمكنه التسبيح حتى في جنازة في وقت الحزن. يخبرنا الكتاب المقدس، «افرحوا في الرب كل حين، وأقول أيضاً: افرحوا.» (فيلبي ٤: ٤).

٣- نور يهب الحياة

تخيل عالماً يحل فيه ظلام دامس. بالتأكيد سيكون عالماً بلا حياة. فلن تنمو النباتات بدون النور لأن كل الكائنات الحية تعتمد على الضوء. في الحقيقة الجحيم هو مكان الظلام. فهو لا يمكن أن يكون غير ذلك. ولكننا

نتمتع بالنور في جميع أنحاء العالم. فالله يرسل الخير للأشرار والصالحين، ولكن الناس الذين يعيشون في الظلام قد اختاروا ظلمة الجحيم.

المسيح هو مصدر الحياة. وبدونه، لن يكون هناك حياة على الإطلاق. فحتى الملحدون الذين ينكرون وجود الله يعتمدون على الله لوجودهم. وإذا رفع الله يده، فالكون كله سينهار. جاء المسيح ليعطينا الحياة الأبدية، حياة مع الله. في الشاهد الكتابي الوارد في بداية هذا الفصل، هناك إشارة إلى «نور الحياة». النور والحياة معًا. بدون المسيح، لا حياة ولا حياة روحية. وبدون المسيح، نحن منفصلون عن النور. علينا أن نسير في النور لأننا ننمو ونستقبل قوة في النور. كما أن هناك عملية بناء ضوئي لنمو النباتات، كذلك ننمو روحياً ونحن نسير مع المسيح في النور.

يُدعى المسيحيون المؤمنون «أبناء النور». فقد أوصى بولس كنيسة أفسس أن «يسلكوا كأولاد نور». وكمسيحيين، علينا أن نعكس نور المسيح كما يعكس القمر نور الشمس. والنور يأتي من المسيح. وأن نتبع يسوع ليس شيئاً نفعله في المناسبات، لكننا نسير معه كل يوم. منذ زمن بعيد، كان هناك من يتعبدون للشمس. ولكننا نعبد الابن يسوع الذي هو نور العالم. فهل أشرق النور في قلبك؟ إنه النور الذي يأتي لك بالأسرار والجمال والمعرفة والفرح والحياة. نور يسوع حقاً يزيل الظلام. دعونا نأتي إلى نوره الآن!

الفصل السابع

يسوع الراعي الصالح

«أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ، وَالرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْذُلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخِرَافِ».
(يوحنا ١٠: ١١).

تحدث يسوع عن هويته بطرق مختلفة. فهو قال ذات مرة أنا هو نور العالم، وقال أيضًا أنا الكرمة وأنتم الأغصان. كما قال أنا هو خبز الحياة وأيضًا ماء الحياة. وقد أعلن عن هويته عندما قال أنا هو الراعي الصالح. ومن مئات السنين يقرأ الناس المزمور الثالث والعشرون، الذي يقول، «الرب راعي». وقد كتب إشعياء النبي: «كَرَاعٍ يَرْعَى قَطِيعَهُ. بِذِرَاعِهِ يَجْمَعُ الْخُمُلَانَ، وَفِي حِضْنِهِ يَحْمِلُهَا، وَيَقُودُ الْمُرْضِعَاتِ» (إشعياء ٤٠: ١١).

ماذا تخبرنا صورة الراعي الصالح عن يسوع؟ يخبرنا أنه يستطيع تلبية جميع احتياجات شعبه. كيف يفعل ذلك؟ أنه يرعانا بالعطاء. فالراعي الصالح يعطي نفسه للخراف. لذا أعطى يسوع نفسه من أجلنا. يعرف جميع أسماء خرافه، وهو يبقى معهم، ويقودهم، ويحميهم.

١- يعطي نفسه ليخلصنا

هل يمكن أن يبذل الراعي نفسه من أجل شاةٍ؟ هذا ما صنعه يسوع فقد

بذل يسوع حياته من أجلنا. لقد أعطى الله نفسه لنا عندما أعطانا يسوع. هذا هو أئمن بكثير من تقديم هبات من المعادن أو أكوام من المال. فما أعطاه الله أعلى من العالم، وأئمن من الكون.

في بعض الأحيان يُعطي الآباء الكثير لأطفالهم. يُحكي عن أحد الآباء أنه قد أعطى جزءاً من كبده لطفله في عملية جراحية. ولكن هل صنع ذلك الأب هذا الفعل مع طفل لا يعرفه؟ بالطبع لا، لكن المسيح قد بذل نفسه، ليس لأصدقاء في عائلته، بل قدم نفسه من أجل أعداء يحاربون ضده. «لَكِنَّ اللَّهَ بَيْنَ مُحَبَّتِهِ لَنَا، لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا». (رومية ٥: ٨).

دعونا نذهب إلى أسوأ سجن في بلدتك ونبحث عن أحد القتلة الذي قتل العديد من الناس. هل يمكن أن تعطي حياتك الخاصة بك لهذا الشخص؟ لا أعتقد ذلك، لكن في الحقيقة هذا ما فعله المسيح من أجلنا نحن. لقد كانت التَّهم الموجهة إلينا كثيرة إذ أخطأنا ضد الله القدوس بل قد تجاهلناه وعصيناه. ومع ذلك، مات يسوع من أجل الخطاة، ليس لأجل الناس الطيبين أو الصالحين، ولكن من أجل المجرمين الأثمة روحياً. ربما تعترض قائلاً: أنك لم تعيش حياة خاطئة، ولكن الكتاب المقدس يعلمنا أننا جميعاً خطاة. لقد ضللنا جميعنا مثل الغنم التي أبتعدت عن راعيها. «كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِنَّا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا». (إشعياء ٥٣: ٦).

لقد أصبح الراعي الصالح حَمَل الله، وصار بديلاً عنا ومات كأنه أسوء مذنب. ووقعت ذنوبنا عليه، والآن طريق الصليب هو الطريق إلى الله. لقد عمل الراعي الصالح حقاً ما لا تستطيع الخراف أن تفعله.

٢- يعطي نفسه ليقودنا

لقد كانت حياة يسوع عطاء مستمر، وبينما يقودنا في الحياة يواصل في عطائه لنا. وفي الواقع من المعروف أن الخراف حيوانات عاجزة فإذا تركوا بمفردهم، فسوف يتجولون للبحث عن المراعي أو الماء. وربما تهجم عليهم وحوش مفترسة وهي وحدها. وهكذا نحن مثل الغنم إلى حد كبير. لأننا بحاجة إلى من يرشدنا ويقودنا عبر الجبال والوديان. فهناك وديان وحفر ومجاري قد نتعرض للسقوط فيها، وهناك أيضًا صحاري حيث لا يوجد ماء ربما نتيه فيها.

لم يذهب يسوع فقط إلى الصليب من أجلنا، بل جاء لكي يسير معنا. فهو يعرفنا ويعلم احتياجاتنا. لا يمكننا أبدًا أن نقول أنه لا يوجد أحد يفهمنا لأن يسوع عاش هنا لمدة ثلاثة وثلاثين سنة قد أختبر الجوع والعطش والحزن وحتى المعاناة. هل ترغب في أن يرافق رحلتك مرشدًا سياحيًا لم يزر المكان الذي أنت ذاهب إليه، أم هل تريد شخصًا ذهب هناك الكثير من المرات؟ لقد صار يسوع إنسانًا حقيقيًا من أجلنا. إنه يعرف كيف نشعر وكيف نفكر. «فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الْوَلَادُ فِي اللَّحْمِ وَالْدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبَيِّدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيُّ إِبْلِيسَ» (عبرانيين ٢: ١٤)، «لِأَنَّ لَيْسَ لَنَا رَئِيسَ كَهَنَةٍ غَيْرِ قَادِرٍ أَنْ يَرْتِي لِضَعْفَاتِنَا، بَلْ مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلَا خَطِيئَةٍ». (عبرانيين ٤: ١٥).

يسير الراعي أمام الخراف، ويسير القطيع وراءه. هل سبق لك أن لاحظت عدد المرات التي قال فيها يسوع، «اتبعني أنت؟» إنه يعرف ما سوف يواجهنا

في الطريق، لكننا لا نعرف. فهو يعرف المستقبل، لكنه مجهول بالنسبة لنا. يقول مزمور ٢٣: ٢-٣ «إِلَى مِيَاهِ الرَّاحَةِ يُورِدُنِي. يَرُدُّ نَفْسِي. يَهْدِينِي إِلَى سُبُلِ الْبَرِّ مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ»، ذلك لأن الراعي الصالح قد سار سابقًا في كل طريق يجب أن نسير فيه لأنه بالفعل كان هنا وعاش بيننا. ولذلك فإن الطرق المجهولة لنا ليست غامضة بالنسبة له. إنه يعرف أين تكون المياه الهادئة وأين تكون المراعي الخضراء.

من المهم ملاحظة عبارة «يقودنا». إنه لا يجرنّا صُراخًا فينا ولكنه يسير أمامنا. لذلك، فأَي عاصفة تواجهنا، فهي تقابله هو أولًا. يمكننا أن نرى هذا خلال الثلاث سنوات التي قضاها يسوع في الخدمة مع التلاميذ. إنه لم يتركهم ولكنه بقي معهم. في كثير من الأحيان، لم يفهموا ما كان يسوع يعلمهم وفشلوا فشلًا ذريعًا. ذات مرة تجادلوا حول من سيكون أعظم في ملكوت السماء. ولكن يسوع بصبر وأمانة، قاد تلاميذه، وبنفس الطريقة يقودنا اليوم. إنه يعرف نهاية الرحلة، وسوف يقودنا بأمانته إلى هناك.

٣- يعطي نفسه ليحمينا

أن تقود شخص شيء، وأن تقوم بحمايته شيء مختلف تمامًا. ولكن الراعي الصالح يفعل كلا الأمرين فهو يقودنا ويحمينا. قد لا تشعر الخراف أو تتعرف علي الأخطار التي من حولها، لكن الراعي يعلم أنه ربما تهجم الحيوانات الشرسة أثناء الليل، وهذا هو سبب نوم الراعي مع الغنم. غالبًا ما يتم حفظ الأغنام في عنابر مؤقتة حيث يرقد الراعي لينام في مدخل الباب.

ولذلك فهو لن يهرب أثناء الخطر ولكنه سيبقى مع الخراف للدفاع عنهم. وأما المستأجرين الذين لا يبالون بالخراف لن يُخاطروا بأنفسهم.

يسوع المسيح هو حمايتنا الذي يعرف نقاط ضعفنا، ويعلم متى نفشل، فهو متاح وموجود ليرفعنا. ماذا يحدث عندما يسقط طفل؟ ستحملة الأم أو الأب على الفور ثم تتحدث معه. ونحن كأولاد الله، نسقط أحياناً ونتردد في النهوض. ولكن يأتي الراعي الصالح ليرفعنا وأحياناً يحملنا. لن يتخلى عن أولاده أبداً. فحتى لو كان ابنك متمرّد فهل تستطيع أن تتخلى عنه؟ بالطبع لا، في الحقيقة يمكنك تأديبه، لكن لن تتخلى عنه أبداً. لقد تكلم الله إلينا بأقوى طريقة ممكنة قائلاً: «لِتَكُنْ سِرَّتُكُمْ خَالِيَةً مِنْ مَحَبَّةِ الْمَالِ. كُونُوا مُكْتَفِينَ بِمَا عِنْدَكُمْ، لِأَنَّهُ قَالَ: لَا أَهْمِلُكَ وَلَا أَتْرُكُكَ».

كيف يرضى الله خرافه؟ هل تعتمد رعيته لهم على قدراتهم؟ إذا كان الأمر كذلك، فقد يكون لدينا ضمناً قليلاً لأننا ضعفاء مثل الخراف. لكن الأمر يعتمد على قوة الراعي التي نحفظنا. فهو يمتلك القوة التي تقودنا إلى بيتنا الأبدي. «وَالْقَادِرُ أَنْ يَحْفَظَكُمْ غَيْرَ عَاطِرِينَ، وَيُوقِفْكُمْ أَمَامَ مَجْدِهِ بِلاَ عَيْبٍ فِي الْإِبْتِهَاجِ». (يهوذا ٢٤) عندما يتحرك ملكاً أو رئيساً للسفر، فإنه يسافر ومعه حرسه الشخصي الخاص لحمايته. والبعض منهم يبقوا بالقرب منه دائماً. أما نحن فلنا شيء أفضل، يسوع الراعي الصالح الذي يبقى معنا ويسكن بداخلنا من خلال الروح القدس. والآن، يا ملدى الأمان الذي نتمتع به؟!

إذا كان الرب هو راعيكم، فلا داعي للخوف، ولا شيء يدعو للقلق، ولا شيء يحول نظرك عنه. فهو يحفظ، ويقود ويحمي. فكل ما نحتاجه موجود

في يسوع. عندما نقوم بالسفر إلى مكان ما، فإننا نريد أن نعرف ما نحتاجه في المكان الذي سوف نذهب إليه. ولكن مع يسوع، فهو يُدبر تمامًا ما نحتاجه وهو لا يقدم إمدادًا لنصف الطريق فقط، ولا هو يقودنا فقط جزءًا من طريق. إنه الراعي الصالح الذي يقودنا طوال الطريق. كتب فاني كروسبي الذي كان فاقدًا للبصر، هذه الترتيمة الجميلة، «على طول الطريق يقودني مُخلصي». نعم في كل شيء وفي كل مكان، يرعانا راعينا الصالح والأمين هلوليا.

الفصل الثامن

يسوع الملك

«أَجَابَ يَسُوعُ: «مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ. لَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، لَكَانَ خُدَّامِي يُجَاهِدُونَ لِيَّ لَا أُسَلِّمَ إِلَى الْيَهُودِ. وَلَكِنْ أَلَّا لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا». فَقَالَ لَهُ بِيَلَاطُسُ: «أَفَأَنْتَ إِذَا مَلِكٌ؟». أَجَابَ يَسُوعُ: «أَنْتَ تَقُولُ: إِنِّي مَلِكٌ. لِهَذَا قَدْ وُلِدْتُ أَنَا، وَلِهَذَا قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ لِأَشْهَدَ لِلْحَقِّ. كُلُّ مَنْ هُوَ مِنَ الْحَقِّ يَسْمَعُ صَوْتِي».

(يوحنا ١٨ : ٣٦-٣٧).

«وَكَتَبَ بِيَلَاطُسُ عُنْوَانًا وَوَضَعَهُ عَلَى الصَّلِيبِ. وَكَانَ مَكْتُوبًا: يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ مَلِكُ الْيَهُودِ». (يوحنا ١٩ : ١٩).

«وَلَهُ عَلَى ثَوْبِهِ وَعَلَى فَخْذِهِ اسْمٌ مَكْتُوبٌ: «مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الْأَرْبَابِ». (رؤيا يوحنا ١٩ : ١٦).

يفتقر معظم الملوك اليوم إلى القوة لكي يحكموا، ولكنهم يحاولوا إعطاء إنطباع بإظهار القوة، وعندئذ تكون القوة مجرد شكل أو رمز للدولة. لم يكن هذا هو الحال دائماً سابقاً لأن قد جاء بالفعل ملوك مارسوا قوة منذ سنوات عديدة. فقد كان هناك العديد من الملوك الأقوياء في تاريخ اسرائيل. وعلى سبيل المثال قد كان اثنان من أكثر الشخصيات شهرة وقوة هما داود الملك

وابنه سليمان. كان داود معروفًا بقيادته القوية وقد شارك في بناء الأمة. كما عُرف سليمان بحكمته وفترة حُكمه التي أمتلئت بالسلام.

في العهد القديم، يُدعى الله ملكًا، «الرَّبُّ مَلِكٌ إِلَى الدَّهْرِ وَالْأَبَدِ. بَادَتْ
الْأُمَمُ مِنْ أَرْضِهِ.» (مزمور ١٠: ١٦)، «مَنْ هُوَ هَذَا مَلِكُ الْمَجْدِ؟ رَبُّ الْجُنُودِ
هُوَ مَلِكُ الْمَجْدِ.» (مزمور ٢٤: ١٠)، «أرفعك يا إلهي الملك.» (مزمور ١٤٥: ١)
سأل بيلاطس يسوع ذات مرة: «هل أنت ملكًا؟»، فأجابه يسوع أنه بالفعل
ملك ولكن مملكته ليست من هذا العالم. فكتب بيلاطس علته في هذه
الكلمات ليتم وضعها فوق الصليب، «يسوع الناصري ملك اليهود.» ولكن
بأي معنى كان يسوع ملكًا؟ عندما نرى يسوع الملك، عندئذٍ ندرك أنه فوق
الكل وفوق كل شيء.

١- ملك صامت

عندما يحكم الملك، فبالأكيد يريد الناس رؤيته وسماعه. ولكن إذا كان
يسوع ملكًا، فلماذا عادةً ما يكون صامتًا، ولماذا لا نستطيع أن نراه؟ كان
يسوع صامتًا أمام هيرودس الملك الذي كان يريد أن يراه يفعل أمامه بعض
المعجزات. ولكن يسوع كان هادئًا عندما أُتهم ظلمًا أمام بيلاطس الحاكم
الروماني. إن الكلمات لها قوة، لكن الصمت أيضًا قوي وأحيانًا يكون الصمت
أقوى من الكلمات. وبالرغم من أن يسوع كان فصيح الكلام، لم يكون صمته
نابغًا من ضعفٍ.

قال لنا يسوع أن لا نُلقِي دُررنا أمام الخنازير. فحتى لو كان يسوع قد
تكلم إلى هيرودس أو بيلاطس، فلن يُغيروا عقولهم إذ قد أُغلقت عن معرفة

الحقيقة. فربما تكون الكلمات بلا معنى أمام الكبرياء وعدم الإيمان. وقد يتكلم الصمت بصوت أعلى من أي كلمات تُثبت بها موقفك. لقد تكلم يسوع إلى الفقراء، والمُهْمَشين، والمنبوذين من المجتمع المرتفع. ومع ذلك، لم يكن لديه سوى الصمت بالنسبة للأشخاص الذين بنوا بأنفسهم عروش وأحبوا أقوالهم الخاصة.

اليوم نحن لا نرى يسوع بأعيننا، لكن ذات يوم سوف يتغير هذا الموقف. الآن نحن نسير بالإيمان، ولكن سيأتي الوقت الذي فيه سوف نراه وجهًا لوجه. سنرى مجده كملك الملوك، وسوف يفعل ما تحدث إلينا عنه. عندما يأتي يسوع مرة أخرى، سوف يأتي في مجده كملك الملوك، ولكنه لن يأت اليوم ليدين المؤمنين به. ولكنه سيأتي متخفيًا في صمت لأنه يريد أناس راغبين في مملكته وليس جنودًا مترددين وهم داخلون إلى الحرب. عندما رأى الناس يسوع، رآه الكثيرون نجارًا فقط يصنع الخير، رأوه كنبى فقط، ولكن عندما أصغوا إليه جيدًا، فإن الكثيرين أدركوا أنه ابن الله، الملك الموعود.

أراد بعض الناس أن يجعلوا يسوع ملكًا بالقوة. أنهم أرادوه ملكًا يمكنه هزيمة الرومان وإقامة مملكة أرضية. لقد أرادوا ملكًا يتكفل بإحتياجات أجسادهم المادية. أرادوا ملكًا يمكنهم السيطرة عليه لتلبية رغباتهم. ومثل هذا الاقتراح الغبي، ابتعد يسوع عنهم بل أكتفى بالصمت ببساطة بسبب أنه لم تكن هناك حاجة للكلمات. فأحيانًا يكون يسوع صامتًا عندما نحاول التلاعب بالأشياء، لكن صمته يرد علينا ويُجيبنا بصوت عالٍ وواضح.

٢- ملك مُدهش

يفاجئ الملوك أحيانًا الناس بما يفعلونه، لكن ليس هناك ملك قد أثار دهشة الناس أكثر من يسوع. فإذا كنت تريد حياة مملّة ورتيبة، لا ينبغي أن تتبع يسوع لأنه يصنع أشياء مثيرة. غالبًا ما يقلب المجتمع ذات الطبيعة الراكدة رأسًا على عقب. لقد كانت ولادة هذا الملك ولادة مفاجئة. فهو لم يُولد في قصر الملك. كما لم يُولد في دائرة الأضواء، ولم تكن ولادته معروفة لدى معظم الناس. ولكنه وُلِدَ في مذود، ذلك المكان الذي تأكل فيه الحيوانات. فلم تدق أبواب الهتاف له، فقد استمر معظم الناس في تلك القرية الصغيرة في الحياة اليومية المعتادة كما هو الحال دائمًا. وعندما علم الملك هيرودس عن ولادة يسوع، شعر بالتهديد بولادة ذلك الملك المحتمل، مما اضطر مريم ويوسف إلى الفرار إلى مصر.

ولم تكن هذه هي المفاجأة الأخيرة. فعندما اقتربت نهاية خدمته للجموع، ركب يسوع حمارًا وهو في طريقه إلى أورشليم. فأخذ الناس أغصان النخيل وهم يهتفوا: «أوصنا». لم نرى قبلاً ملكًا يأتي على مثل هذا الحيوان المتواضع، لكن هذه هي الطريقة التي عاش بها يسوع. لقد عاش بين عامة الناس ولم يقتني الكثير من الملابس أو الممتلكات. ولم يكن لديه منزل جميل لكنه غالبًا ما كان ينام في الخارج. لقد عاش ببساطة على الرغم من أنه ملك السماء. ولم يأتِ كملك بل كخادم أدهش الكثير من الناس. لن يكون ملك تأثير وهو جالس على العرش بل ما أروع ذلك الملك العظيم الذي أدهشنا بغسل أرجل تلاميذه، ويا لها من مفاجأة كبيرة.

ولكن أكثر ما يُثير الدهشة هو رؤية الملك علي الصليب. لقد كان الصليب مكانًا للمجرمين وليس مكانًا لملك، ولكن من ذلك المكان كان يسوع يسود ويملك على الصليب بالرغم من أنه مرفوض ومصلوب. هل كان يسوع لا يزال ملكًا مُعلّقًا على شجرة؟ في الحقيقة أنه لم يتوقف عن كونه ملكًا. إنه الملك الأبدي عندما أتى إلى هذه الأرض. صحيح أنه من المؤكد أنه لم يمارس كل شيء من صلاحياته، لكنه كان لا يزال ملكًا. عندما نسمع كلماته من الصليب، يمكننا فقط أن نتحقق أنه لم يكن هناك أبدًا مثل يسوع. لقد سَمَرَ الناس يسوع على الصليب، لكنهم لم يستطيعوا أن يخلعوه من عرشه في السماء. أنهم قدموا له الكراهية، لكنهم لم يستطيعوا التخلص من حبه. ولكنه على الصليب صلي وغفر لنا ومات لأجلنا.

أيّنا نرى يسوع، نراه دائمًا يُعطي ويخدم ويحب. دائمًا هناك مفاجآت مع يسوع. فذلك الشعب الذي رأى يسوع يوميًا اندهش مما قاله يسوع وفعله. نعم اندهشوا من قوته وحكمته ومحبته. هللوا، حقًا كل شيء عن هذا الملك مدهش.

٣- ملك متفوق على الجميع

أصبح ملوك الأرض ملوكًا عادةً ليس لأنهم يستحقون هذه المكانة، وليس بسبب قدراتهم على الحكم، ولكن من خلال ولادتهم في عائلة ملوكية. وقد كان بعض من هؤلاء الملوك سيئين للغاية فجلبوا العار على أنفسهم وعلي عائلاتهم. ولكن ليس هذا هو الحال مع يسوع. لأن يسوع هو أعلى بكثير من أفضل ملوك التاريخ. فهو ملك الملوك، الملك المتفوق على الجميع. يسوع

وحده هو من يستحق عبادتنا. يمكننا أن نقرأ في سفر الرؤيا كيف ألقى الجميع تيجانهم أمامه في السماء لأنه وحده المستحق. قارن يسوع بأي طريق تختاره، وستجد أنه متفوق على الجميع. يقول الكتاب المقدس أن ليسوع ستجثو كل ركبة، ويعترف كل لسان أن يسوع هو الرب.

عادةً ما يحيط الملوك أنفسهم بالعظمة والفخامة. فتجدهم يعيشون في أماكن خاصة. زرت ذات مرة أحد قصور الملكة في لندن. وهناك رأيت بعضاً من أفضل الأشياء من الصين، والتي تصلح فقط للبيت الملكي. ولكن يسوع كان ملكاً متواضعاً، لكنه قادم مرة أخرى في مجد أبيه. ولن يكون مثل هذا مجد يمكن أن نراه أو نحلم به بل لم يسبق لنا أن رأيناه. يسوع نفسه آتٍ في المجد، وسنرى بعيوننا ذلك المجد. للملوك ممالك، ولربنا يسوع المسيح أيضاً مملكة، ولكن مملكته تختلف عن كل الممالك الأخرى. إنها مملكة الحب، ويا لها من بُشرى أنه يمكننا أن نكون مواطنين ورعية في تلك المملكة.

يُعرف الملوك بقوتهم التي قد تكون خبيثة ومدمرة. يُمكنك أن تقرأ في الكتاب المقدس كيف ارتكب آخاب جريمة قتل للحصول على قطعة أرض يريدتها. ولكن عكس ذلك يسوع، بالرغم من أنه لديه القوة والسلطان، لكنه ليس دكتاتورياً. إنه ملك طيب يسود ويملك بالحب. إن قوته حقيقية وسلطانه حقيقي. رأينا كيف ظهر في الخلق عندما دعى ما هو ليس موجود إلى الوجود. كما يمكننا أن نرى تلك القوة في الفداء عندما مات على الصليب من أجل خلاصنا وقام من القبر. وسوف نرى تلك القوة في المجيء الثاني وعند قيامة الأموات من القبور.

من الأمور الواضحة التي نراها عن الملوك ثرواتهم الطائلة. ونادرًا ما نجد ملك فقير. ولذلك، لن نتوقع أبدًا أن تجد ملك يعيش في فقر. وعلى الرغم من أن يسوع كان غنيًا، فقد أصبح فقيرًا من أجلنا. فترك ثروات وأمجاد السماء ليأتي إلى فقر الأرض. وعلى الرغم من أنه يمتلك كل شيء في الخليقة، دخلها بدون أي شيء. يعلمنا الكتاب المقدس أن يسوع هو الوارث لكل شيء وبفضل نعمته نصير شركاء وورثة معه، وقد وهب ذلك الميراث للخطاة المفديين. أي ملك يموت من أجل أعدائه، ويجعلهم رعية لمملكته، ويمنحهم ثرواته؟!

إن معظم الممالك تدوم لبضع سنوات ثم تنهار وربما تندثر وتخرج من الوجود، أو أنها تضعف وتستمر في حالة وسطية في إزدهارها وليست كما كانت، ولكن ملكوت يسوع أبدي. فهو لن يستمر لبضع مئات من السنين لكنه سوف يستمر إلى الأبد، وسيبقى الملك جالسًا على عرش. إنه ملك كل الملوك، ملك فوق كل ملك، الخالق والرب والمخلص والراعي الصالح. بعض الملوك لهم مثل هذه المكانة ولكن ليس لهم ذلك السلطان. وملوك آخرون لديهم عرش لكن ليست لهم مملكة. وبعض الملوك لديهم ثروات ولكن ليس لديهم كرامة. ولكننا لا نتحدث عن مثل هؤلاء الملوك. ولكننا نتحدث عن يسوع الملك الذي له الكرامة والقوة والغنى. إنه يسود ويملك حتى عندما يصمت بطرق مدهشة، وسوف يملك دائمًا في الجلال والمجد.

الفصل التاسع

يسوع الكاهن

«مَنْ تَمَّ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُشَبِّهَ إِخْوَتَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، لِكَيْ يَكُونَ رَحِيمًا، وَرَئِيسَ كَهَنَةٍ أَمِينًا فِي مَا لِلَّهِ حَتَّى يُكْفِّرَ خَطَايَا الشَّعْبِ»
(عبرانيين ٢: ١٧).

«وَأَوَّلِيكَ قَدْ صَارُوا كَهَنَةً كَثِيرِينَ مِنْ أَجْلِ مَنْعِهِمْ بِالْمَوْتِ عَنِ الْبَقَاءِ، وَأَمَّا هَذَا فَمِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يَبْقَى إِلَى الْأَبَدِ، لَهُ كَهَنُوتٌ لَا يَزُولُ. فَمِنْ ثَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضًا إِلَى التَّامِّ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى اللَّهِ، إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ. لِأَنَّهُ كَانَ يَلِيقُ بِنَا رَئِيسَ كَهَنَةٍ مِثْلَ هَذَا، قُدُّوسٌ بِلَا شَرٍّ وَلَا دَنَسٍ، قَدْ أُنْفَصَلَ عَنِ الْخَطَاةِ وَصَارَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ، الَّذِي لَيْسَ لَهُ أَضْطِرَارٌ كُلِّ يَوْمٍ مِثْلَ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ أَنْ يَقْدِمَ ذَبَائِحَ أَوَّلًا عَنْ خَطَايَا نَفْسِهِ ثُمَّ عَنْ خَطَايَا الشَّعْبِ، لِأَنَّهُ فَعَلَ هَذَا مَرَّةً وَاحِدَةً، إِذْ قَدَّمَ نَفْسَهُ. فَإِنَّ النَّامُوسَ يُقِيمُ أَنْاسًا بِهِمْ ضَعْفُ رُؤَسَاءِ كَهَنَةٍ. وَأَمَّا كَلِمَةُ الْقَسَمِ الَّتِي بَعْدَ النَّامُوسِ فَتُقِيمُ أَبْنَاءَ مُكَمَّلًا إِلَى الْأَبَدِ». (عبرانيين ٧: ٢٣-٢٨).

يعرف الكثير من الناس أن يسوع هو معلم وملك وصديق ومخلص، لكن قلة من الناس يعرفون يسوع كرئيس كهنة عظيم. ولكن عندما نفهم

هذا، سيكون هذا الحق تشجيعاً كبيراً وضماناً لا ينتهي يلهمنا على معرفة أن يسوع يعمل حتى الآن بنشاط وفاعلية من أجلنا ونيابةً عنا اليوم. وذلك يُؤكد لنا أن يسوع سوف ينهي ما ابتدأه في العمل فينا.

مات يسوع من أجل خطايانا وقام من بين الأموات في اليوم الثالث. فقد رآه كثير من الناس بعد قيامته. ثم عاد راجعاً إلى السماء، لكن هذه ليست نهاية القصة لأن يسوع يعمل بنشاط اليوم. إنه ذهب ليعد لنا مكاناً ويمثلنا أمام أبينا السماوي. وهو قادم مرة أخرى لاستقبالنا لنفسه في الوقت المُعين.

١- شخصيته

هل الشخصية مهمة؟ قد يقول بعض الناس «لا». أنهم يحاولوا أن يفصلوا الشخصية عن السياسة أو العمل. بعض السياسيين يقولون أن حياتهم الشخصية هي أمر يخصهم وليس لها علاقة بخدمتهم للبلد. فربما يكونوا غير مخلصين في زواجهم لكنهم يدعون أنهم أهل للثقة مع أعمال الأمة. ومع ذلك، إذا كان الرجل أو المرأة غير مخلصين في زواجهم، فلماذا لا يخونون في علاقاتهم الأخرى؟!

إن شخصية الكاهن هامة جداً، فلا يمكن لأي شخص أن يكون كاهناً. لقد كان رئيس الكهنة يدخل إلى قدس الأقداس مرة في السنة. وكان يلبس ثياباً خاصة، وعلى رأسه صفيحة ذهبية مكتوب عليها، «قُدُس الرب». كما يعتقد أنه كان يُربط بحبل من وسطه، حتى إذا مات يمكن أن يسحبه أحد الذين لا يستطيعون الدخول إلى قدس الأقداس.

بلا شك إن شخصية يسوع مثالية وذو قيمة. فهو رحيماً علينا لأنه يفهمنا ويرثي ويتعاطف مع نقاط ضعفنا. فعندما نتحدث عن يسوع، فإننا نتحدث عن الحب والعطف. وعندما ننظر إلى يسوع، لا نرى شخص يعبس في وجهنا أو يتعامل نحونا كمن هو مستعد للانقضاض أو الهجوم علينا. ولكننا نرى شخص ممتلئ بالحب يفرح عندما نأتي إليه. وهذا هو سبب أنه وُجهت لنا هذه الدعوة: «فَلْتَقَدِّمْ بِثِقَةٍ إِلَى عَرْشِ النِّعْمَةِ لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ نِعْمَةً عَوْنًا فِي حِينِهِ.» (عبرانيين ٤: ١٦)، قد نتردد في الذهاب أمام بعض العروش، لكن هذا هو عرش النعمة حيث يقبلنا ويُرحب بنا الله.

إن يسوع هو رئيس الكهنة الأمين الذي يفعل ما يقول وصادق مع ما يعلمه. شخصيته لا تتعارض مع كلماته أو أفعاله لأنها تتلاءم جميعاً معاً بشكل مثالي. ولا يوجد مثله مُخلص لأتباعه ولا يتخلى عنهم. إنه أمين ليس فقط للمؤمن القوي، بل للأضعف تابع له. فبالرغم من علمه أن يهوذا كان يسرق المال من الصندوق وسوف يخونه، إلا إنه لم يتركه ولم يطرده من جماعة التلاميذ.

قبل كل شيء، كان ينبغي على رئيس الكهنة أن يكون مُقدساً إذ قد تم فرزه وتقديسه، وأصبح مُكرساً لهذا العمل الخاص. وهكذا أُفرز يسوع من وقت ولادته. لم يكن فيه عيب أو أي شيء يشوه صورته. ولم يكن هناك شيء يعيبه حاول إخفائه. إن شخصيته تميزه وتفصله عن غيره من الكهنة وغيرهم من القادة الدينيين. لقد «انفصل عن الخطاة، وارتفع فوق السماوات». لقد كان يسوع مختلفاً إذ كانت شخصيته لا تشوبها شائبة، وعلى مر القرون، لم يكن هناك من استطاع أن يُعتم أو يؤذي شخصيته.

هذا ما قاله «إي. ستانلي جونز» عن «يسوع»: «حاول العديد من المعلمين في العالم شرح كل شيء، فتغيرت أشياء طفيفة أو يكاد أن يكون لا شيء قد تغير. بينما شرح يسوع القليل وتغير كل شيء ... فكل ما لمسه يسوع قد تغير. ادعوه كابن الإنسان، وسيغير أفكارك حول من هو الإنسان. ادعوه كابن الله، وسوف تضطر إلى أن تغيّر أفكارك عن من هو الله.»

٢- عمل المسيح

يتكون عمل الكاهن من شيئين، أولاً: تقديم ذبائح، ثانياً: يتشفع من أجل الشعب. قبل مجيء يسوع، كانت تُقدم الآلاف والآلاف من القرابين والذبائح الحيوانية في الهيكل كل سنة. ولكن هذه الذبائح لا يمكن أن تمحو الخطية، لكنها تُشير إلى الذبيحة الأخيرة، يسوع المسيح. هناك فارق هائل بين الكهنة الذين كانوا قبل يسوع وبين يسوع الذي هو نفسه رئيس الكهنة. كان على كهنة العهد القديم أن يُقدموا ذبائح لأنفسهم أيضاً لأنهم كانوا خطاة. بينما كان يسوع بلا خطية. ولذلك، لم يقدم ذبيحة لنفسه. كما قدّم الكهنة الكثير من الذبائح بينما قدم يسوع ذبيحة واحدة فقط، والتي كانت ذبيحة نفسه. وأيضاً قدّم الكهنة تلك الذبائح بشكل معتاد، وأما يسوع فقدّم ذبيحة نهائية. فمراراً وتكراراً كانت تُقدم مثل هذه الذبائح، لكن يسوع قدّم نفسه مرة واحدة فقط وإلى الأبد.

إن ذبيحة واحدة تكفي لخطايا العالم كله. فلن يُقدم يسوع ذبيحة مرة أخرى أبداً لأنه قدم نفسه مرة واحدة لكل وإلى الأبد. وبذبيحة واحدة أزال منّا كل ذنب ونجاسة. وهذا هو أساس خلاصنا. قد خلصنا الله، ليس بسبب

ما نفعله، ولكن بسبب ما فعله يسوع سابقًا من أجلنا. ونحن نأتي بفضل نعمته من خلال سفك دم رئيس الكهنة العظيم، يسوع الذي قدّم بروح أزي نفسه ذبيحة بلا عيب فوجد لنا فداءً أبدياً. هللويا، إنه حمل الله المذبوح منذ تأسيس العالم.

ماذا يفعل يسوع اليوم؟ يقول الكتاب المقدس أنه جلس عن يمين الله. هذا لا يعني أنه يفعل لا شيء، أو أنه غير نشط. بل بالحري هذا يعني أنه في مكان السلطان وهو التشفع لنا. يُدعى الشيطان: «المشتكي على الإخوة». هو يقوم بالإفتراء علينا مُشيرًا إلى خطايانا، ولكن يسوع هناك لتمثيلنا. فيشير إلى دمه، وإذا تحدث الشيطان عن خطايانا، فيرد مخلصنا عليه ليقول أنها قد زالت وتم محوها. وإذا حاول العدو إحباطنا من خلال إخفاقات المتكررة، يجب أن نتذكر أن لنا رئيس كهنة عظيم يشفع من أجلنا. أحياناً يصلي أعبائنا من أجلنا، وهذا رائع. ولكن ما أروع أن ندرك أن الروح القدس دائماً داخلنا يشفع فينا ويعين ضعافتنا، ويسوع نفسه في السماء شفيع لأجلنا.

في يوحنا ١٧، يمكننا أن نرى ما يعنيه أن يتشفع يسوع من أجلنا. هناك صلي من أجل تلاميذه ومن سيؤمنوا به على مر العصور. وهذا لا يُعني أنه كمن تقاعد وذهب ليختبئ بعيداً في الفضاء السحيق. فيسوع هو أكثر نشاطاً من أي شخص آخر يمكن أن نعرفه. ومهما تحدثنا عن نشاطه اليوم، ينبغي علينا أن نتذكر أنه هو رئيس الكهنة الأعظم الذي يستمر في عمل الخلاص حتى يوم مماتنا. يمكننا أن نرى الخلاص أنه قد اكتمل، ولكن يمكننا أن نراه من منظور آخر أيضاً، أن الخلاص مستمر ونحن نتبع الرب يسوع.

٣- تأثيره

ما مدى تأثير عمل الكاهن؟ كان الكاهن دائم التطلع إلى خدمة شعب الرب. كان الكهنوت يتغير دائماً لأن الكهنة كانوا مؤقتين. فهم يخدموا لعدة سنوات ولكن بعد ذلك يموتوا أو يتم استبدالهم بالكهنة الأصغر سناً. ولكن المسيح له كهنوت دائم لا يزول لأنه يعيش ويبقى إلى الأبد. فليس هناك وريثاً لكهنوته لأنه: «قَدْ صَارَ لَيْسَ بِحَسَبِ نَامُوسٍ وَصِيَّةٍ جَسَدِيَّةٍ، بَلْ بِحَسَبِ قُوَّةٍ حَيَاةٍ لَا تَزُولُ.» (عبرانيين ٧: ١٦)، ولذلك كان الكهنة يتغيروا ويتم استبدالهم قبل يسوع باستمرار، لكن يسوع لن يتم استبداله أبداً. فلا يوجد شخص آخر مؤهل وقادر على القيام بعمله. وهو لن يموت أبداً بعدما مات لأجلنا ومن أجل ذلك له كهنوت لا يزول ولا يتغير.

ولأنه يعيش إلى الأبد، يمكنه أن يُخلص إلى التمام. ومن هنا يظهر تأثيره الذي لا يمكن أن يُقارن بتأثير آخر. جاء يسوع ليخلصنا وهذا ما يعنيه اسمه. إنه يُدعى مُخْلِص. فله قوة للخلاص، ليس خلاصاً لجزءٍ من الطريق، بل الطريق كله تماماً. تقول ترجمة الملك جيمس، «إلى التمام»، والتي تعني إلى أبعد حد من الضرورة. فلم يبدأ يسوع في بناء منزل ثم يتركه بدون أن ينتهي منه كاملاً. كما أنه لا يبدأ في رسم صورة ثم يرميها بعد ذلك في سلة المهملات. وهو لن يقوم بفحص مريض ثم يرفض بعد ذلك أن يُقدم له مزيد من العناية. لا بل على العكس، يسوع يعطي خلاصاً أبدياً، ولن نحتاج إلى ذبيحة أخرى تُقدم لأجلنا.

عندما تحطمت طائرتان صغيرتان في أحد المطارات الصغيرة، لم تكن معدات إطفاء الحرائق متوفرة، فمات جميع ركاب الطائرتين. لو كان من الممكن سماع الناس داخل الطائرة، لا شك أنهم كانوا يصرخون طلباً للمساعدة، لكن لم يتمكن أحد من الوصول إليهم لانقاذهم فماتوا جميعاً. ولكن عندما يسمع يسوع أي صرخة لأحد طلباً للمساعدة، فإنه يستجيب على الفور لأنه لا يوجد نقص في معداته لإنقاذ الأرواح. الشيء الرائع في يسوع هو أنه ليس هو فقط مخلصنا ولكنه أيضاً رئيس الكهنة. إذ صار الكاهن نفسه ذبيحة من أجل خطايانا لأن حمل الله هو نفسه رئيس الكهنة.

في الآونة الأخيرة، كان هناك العديد من عمليات الاحتيال التي يقدمها الناس من خلال الإنترنت. عندما يرسل شخص ما المال لشراء المنتج، فيأخذ المحتال المال ولا يرسل شيئاً أو ربما يرسل شيء لم يتم طلبه. ولكن عندما يتعلق الأمر بيسوع لن يكون هناك احتيال. فيسوع حقيقي وكل ما ورد عنه في الكتاب المقدس حقيقي، ومن أروع الأشياء الحقيقة أنه هو ملكنا المخلص والرب ورئيس الكهنة العظيم!

الفصل العاشر

يسوع النبي

«فَإِنَّ مُوسَى قَالَ لِلْكَاهِنَةِ: إِنَّ نَبِيًّا مِثْلِي سَيَقِيمُ لَكُمْ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ مِنْ إِخْوَتِكُمْ. لَهُ تَسْمَعُونَ فِي كُلِّ مَا يُكَلِّمُكُمْ بِهِ. وَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَا تَسْمَعُ لِدَلِكِ النَّبِيِّ تَبَادُ مِنْ الشَّعْبِ.» (أعمال الرسل ٣: ٢٢-٢٣).

من أكثر الأنبياء شهرة: موسى، وإيليا، وإرميا، وإشعيا. ومن بعض الأنبياء الأقل شهرة هم عاموس وناحوم. وقد استخدم الله هؤلاء الأنبياء ليقدم من خلالهم رسالته للشعب. وكانوا يرددوا كالأسود بهذه الرسالة، «هكذا يقول الرب». فكانت عندهم الجراءة وأعلنوا كلمة الله لشعوب زمانهم.

يوضح الكتاب المقدس بنفس القدر أن يسوع هو نبي الله الأخير. فقد كان دائماً يأتي نبي بعد آخر في العهد القديم. وقد كانت رسالتهم صحيحة ولكنها لم تكن نهائية. ولن يكون هناك أنبياء (بمفهوم العهد القديم) بعد يسوع. في بعض الأحيان يُشير وعاظ اليوم لأنفسهم كأَنْبياء، لكنهم ليسوا أنبياء مثل أنبياء العهد القديم، وبالتأكيد ليسوا أنبياء مثل يسوع. إن يسوع أبعد بكثير من مجرد نبي، ولكن دوره كنبي يخبرنا ببعض الأشياء المهمة عنه. في دخوله الإنتصاري إلى أورشليم، كانت تهتف حشود من الناس بتسبيح يسوع، وكان يسأل الناس، «من هو هذا؟»، كان هذا هو الجواب الذي قدموه، «فَقَالَتِ الْجُمُوعُ: هَذَا يَسُوعُ

النَّبِيُّ الَّذِي مِنْ نَاصِرَةِ الْجَلِيلِ.» (متى ٢١: ١١)، ولكن السؤال هو: ما الذي جعل الناس يقولون هذا عن يسوع؟

١- إنه تكلم برسالة الله

كان هذا ما يُميز الأنبياء عن غيرهم من الناس هو أن الله كان يُرسلهم برسالة من قبله. فكانوا يتحدثوا بكلمة الرب الإله. كان حزقيال أحد الأنبياء المرسلين من الله. وكانت مسئوليته الوحيدة هي إعلان رسالة الله سواء استمع الناس لرسالته أم لا، فلم تكن هذه مسئوليته لأنه كان مجرد رسول. «وَتَتَكَلَّمُ مَعَهُمْ بِكَلَامِي، إِنْ سَمِعُوا وَإِنْ أَمْتَنَعُوا، لِأَنَّهُمْ مُتَمَرِّدُونَ» (حزقيال ٢: ٧)، ويمكننا أن نرى نفس الدعوة عندما ننظر إلى إرميا، فأحياناً كان يُدعى: «النبي الباكي» وعندما دعاه الله شعر بأنه غير قادر على التحدث باسم الله وقال إنه مجرد ولد، فَقَالَ الرَّبُّ لَهُ: «لَا تَقُلْ إِنِّي وَلَدٌ، لِأَنَّكَ إِلَى كُلِّ مَنْ أُرْسِلُكَ إِلَيْهِ تَذْهَبُ وَتَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا أَمَرْتُ بِهِ. لَا تَخَفْ مِنْ وُجُوهِهِمْ، لِأَنِّي أَنَا مَعَكَ لِأُنْقِذَكَ، يَقُولُ الرَّبُّ. وَمَدَّ الرَّبُّ يَدَهُ وَلَمَسَ فَمِي، وَقَالَ الرَّبُّ لِي: هَا قَدْ جَعَلْتُ كَلَامِي فِي فَمِكَ» (إرميا ١: ٧-٩).

تحدث العديد من الأنبياء برسائل دينونة، فوبخوا الشعب على خطيئتهم ودعوا الناس إلى التوبة. هكذا كرر يوحنا المعمدان في البرية حيث دعى الناس إلى الرجوع والتوبة. وهكذا أعد الطريق للمسيح. وعندما جاء يسوع، ماذا فعل؟ لقد كرر داعياً الناس إلى التوبة. وهذه كانت رسالته البسيطة، «تُوبُوا لِأَنَّهُ قَدْ أَقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ» (متى ٤: ١٧). وعندما كلم يسوع الفريسيين، واجههم بنفاقهم وريائهم. لقد رأى يسوع ما رفض غيره من

الناس أن يروه وأستعفوا من أن يروا. لأنه كان ينظر إلى قلوب البشر، فرأى الغش والبُغْضة والشهوة. فكيف يمكن للطبيب أن يساعد المريض إن كان لا يعرف المشكلة؟!

كما بشر الأنبياء برسالة رجاء. قد يبدو من الغريب أن نربط رسالة الدينونة برسالة الرجاء والأمل، لكن الربط بينهما حقيقي. فهم قد تحدثوا عن الأمور السلبية من أجل أن يتحدثوا عن الإيجابية. فتحدثوا عن الظلمة لكي يقودوا الناس إلى النور. وهذا ما فعله يسوع، أحضر يسوع الأمل أينما كان يذهب. انظروا كيف تقابل مع امرأة منبوذة من مجتمع متدين عند بئر يعقوب. وقد كان لديها عدة أزواج وكانت تعيش مع رجل ليس زوجها في ذلك الوقت. لقد اجتذب يسوع أولاً انتباهها قبل أن تتخذ قرار الحياة ويغيرها. لقد جعلها تواجه خطيتها وعندها فقط كانت هي على استعداد لتتجاوب معها. إنه لم يذكر أسلوب حياتها غير الأخلاقي لكي يرحبها ويواجهها بحاجتها الروحية. إنها قد دعت يسوع، «سيدي»، «قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: يَا سَيِّدُ، أَرَى أَنَّكَ نَبِيٌّ!» (يوحنا ٤: ١٩).

كان يسوع يتكلم بكلام الله. وقد كانت كلماته في بعض الأحيان حادة ومباشرة، لكنها كانت موجهة إلى القلب. لم يسمع الناس أبداً شخص تكلم مثل يسوع لأنه كان يتكلم بسلطان. إنه لم يبنِ كلماته على ما قاله شخص آخر، لكنه تكلم بسلطان. فكان دائماً يقول: «الْحَقُّ أَلْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ» (يوحنا ٥: ٢٤). لقد جاء من عند الآب وتكلم باسم الآب. وكانت كلمات يسوع بكل سلطان، فليس بعدها كلمات أخرى، ولا حاجة لقول أي شيء آخر بعد أن تكلم يسوع.

فيسوع فوق كل الأنبياء، «الله، بَعْدَ مَا كَلَّمَ آبَاءَ الْأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ، الَّذِي جَعَلَهُ وَارثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ». (عبرانيين ١: ٢-١)، يسوع كان نبيًا ولكنه أكثر من نبي لأنه هو الله الظاهر في الجسد.

٢- إنه يُشير إلى المستقبل

لقد أشار الأنبياء إلى يسوع قبل مجيئه الأول. وأحيانًا كثيرة ذكروا أشياء عن يسوع لا يمكن أن يعلنها أحد إلا الله وحده. فتحدثوا عن ولادته في بيت لحم، وعن الأحداث التي مرَّ بها في حياته وحتى مماته. كما تحدثوا عن إرسال الله لنبي آخر. إنهم كانوا ينظرون إلى الأمام إلى المستقبل البعيد. وكانوا يطلق عليهم أحيانًا «الرَّائِينَ». الآن، إذا كان يسوع نبيًا، فإننا نتوقع منه أن يتحدث عن المستقبل، وهكذا قد فعل.

فقد تحدث عن مجيئه مرة أخرى ووعده بذلك بوضوح أنه سوف يأتي في المرة الثانية. ولم يذكر كل التفاصيل فيما يتعلق بالأشياء الأخيرة، لكنه أعطانا ما نحتاج إلى معرفته. يتحدث الناس اليوم عن الأيام الأخيرة وكأنهم يعرفون أكثر من يسوع. على سبيل المثال، قال يسوع أنه لا أحد يعرف متى سيعود، لكن تجد اليوم من يدَّعي أنه قادم في يوم معين. أراد يسوع أن نعيش بالإيمان وكأنه آخر يوم في حياتنا. ولذلك، فهو أعطانا ما يكفي من التشجيع، وما يكفيننا أيضًا من الأمل، والثقة.

يسوع سيأتي مرة أخرى. قال أحدهم إن لم يعود يسوع، سيكون التاريخ مثل كتاب دون الفصل الأخير؛ لأن إن كان مجيئه الأول ضروريًا، كذلك فإن

مجيئه الثاني ضروريًا جدًا. إن إيماننا يتطلع إلى مجيئه الثاني كما كان في الأول. لقد وعدنا يسوع بوضوح، «سأعود مرة أخرى». ونحن نؤمن أن هذا ما سوف يحدث تمامًا لأن يسوع نبي حقيقي لا يقدم وعودًا ونبوات مزيفة ولكنه يتكلم بكلمة الله.

تحدث يسوع عن المصير النهائي للإنسان. فهو تكلم عن السماء، كما تكلم أيضًا عن الجحيم. فأوضح أن هناك طريقان، طريق ضيق، وطريق واسع. الطريق الضيق يؤدي إلى الحياة، وأما الطريق الواسع فيؤدي إلى الموت. بعض الناس يخفوا أي ذكر للجحيم، لكن يسوع أكثر من تكلم عن الجحيم من أي نبي آخر. فليس لأننا لا نحب أن نذكر هذا الأمر أو لأنه يجعلنا غير مرتاحين، يعني أنه غير صحيح أو غير حقيقي. فيسوع تحدث عن الجحيم على أنه «ظلمة خارجية» و «نار لا تطفأ». كما أنه روي قصة الغني الذي ذهب إلى الجحيم. النقطة الرئيسية لهذه القصة ليست هي المعاناة التي تذوقها ذلك الغني، ولكن الانفصال عن الله. فالجحيم مكان يعيش فيه الناس بدون إله. وهذه هي الطريقة التي يعيش بها الكثير من الناس الآن. أنهم لا يريدوا أن يفعلوا شيئًا نحو الله الحي الذي دبر لهم سبيلًا للخلاص بيسوع المسيح. فهم يريدون أن يعيشوا بدون أي قيود ويكونوا أحرارًا في القيام بكل ما في إرادتهم. فالسما بالنسبة لهؤلاء القوم أسوأ من وجودهم في الجحيم.

تحدث يسوع أيضًا عن السماء التي أطلق عليه اسم بيت الآب، وقال إن هناك منازل كثيرة لكل من سيأتي من خلاله. سيكون الذهاب إلى هناك كمثّل من عاد إلى منزله بعد رحلة طويلة. فالْمُؤْمِنُونَ بِالْمَسِيحِ هُمْ رَحَّالَةٌ سَائِحُونَ

إلى أن يصلوا إلى وطنهم الذي هو السماء. وإن كانت توجد متاعب وإغراءات ومعاناة وأحياناً اضطهاد في هذه الحياة، أكد لنا يسوع أن الموت ليس هو النهاية بل هناك المزيد، نعم، وأكثر من ذلك بكثير إذ ستكون هناك قيامة للأجساد وحياة مع المسيح إلى الأبد. ستكون هناك بهجة لا توصف، وحب لا يمكن تصوره، وسلام لا يتغير. والأفضل لم يأت بعد. وقد أوضح يسوع ذلك عندما تحدث عن المستقبل. هلوليا، المستقبل في يده. حقاً قد تكلم يسوع خاتم الأنبياء.

٣- إنه قد أكمل عمله

لقد صنع العديد من الأنبياء المعجزات. فقد كانت هناك معجزات في خدمة كل من موسى وإيليا وأليشع. وقد أيدت هذه المعجزات خدمتهم. وهكذا رأينا معجزات في خدمة يسوع كنبي. ففي إنجيل يوحنا، تسمت هذه المعجزات: «آيات» كانت علامات على حضور الله وقدرته وسلطانه. وقد كان هناك الكثير من المعجزات التي ذُكرت بالتفصيل، كما سجل الوحي المقدس أيضاً جموعاً من الأشخاص الذين اختبروا لمسة يسوع. وهكذا ثبتت وأكدت المعجزات رسالة يسوع كنبي. لقد كانت آيات وعلامات تذوقنا قليلاً ممن سيحدث في المستقبل.

حقاً نذكرنا المعجزات أنه سيكون هناك وقت لنختبر فيه الصحة، فالمرض ليس هو الكلمة الأخيرة. كما تشير المعجزات إلى زمن من الهدوء والسلام والتناغم. فعندما تكلم يسوع هدأت الرياح العاصفة، وكان هدوءاً عظيماً. في يوم من الأيام سيتكلم يسوع وستنتهي فوضى هذه الأرض. ولذلك فإن

زمان السلام والوئام الحقيقي قادم لا محالة. كما أطلق على المعجزات اسم: «عجائب» لأنها فاجأت الناس وأدهشتهم. وهكذا أشارت العجائب إلى هوية يسوع الذي فعل ما يمكن لله وحده أن يفعله. انظر كيف أقام لعازر من بين الأموات بعد أن كان له في القبر أربعة أيام. كما أنه أقام شابًا من الموت كان الناس في طريقهم لدفنه. وأيضًا أقام فتاةً من الموت كان المشيعون ينوحدون بسبب موتها.

لم تكن المعجزات مستقلة أو منفصلة عن رسالة المسيح. بل أنها أكّدت وثّبتت رسالته، مما جذب الناس ليستمعوا له. واحدة من أكبر المشاكل التي نواجهها اليوم هي جذب انتباه الناس. ولذلك، يجرب المعلمون أشياء جديدة لجذب انتباه تلاميذهم. كما تقوم الشركات بتغيير إعلاناتها التجارية باستمرار للحصول على انتباه عملائها. فجذبت المعجزات انتباه الناس، لكنها عبّرت أيضًا عن محبة الله واهتمامه بنا.

هل يجب أن نبحث عن المعجزات إذرًا؟ لم يفعل الأنبياء المعجزات في كل وقت، حتى يسوع لم يصنع إلا عددًا محدودًا من المعجزات. فهو لم يشفي الجميع. فكانت المعجزات مثل إشارات الطريق التي توجه الناس إلى الله. المعجزات ليست هدف إيماننا النهائي، لكنها آيات يزداد بها إيماننا إذ علينا أن نضع إيماننا في صانع المعجزات يسوع الذي هو آخر الأنبياء. إنها كانت لنتيقن أن يسوع هو نبي، بل فوق كل الأنبياء الأرضيين. فيسوع هو كلمة الله الأخيرة لنا. إن النور الذي نراه في الأنبياء الآخرين يتألق في توهج كامل في يسوع، نور العالم. في يسوع، تتفق الرسالة مع رسولها في توافق تام.

يسوع هو من بحث وفتش عليه جميع الأنبياء. في يسوع ملء الحياة وكامل السلطان، وملء الله. لأن النبي يسوع هو مُخَلِّصُ العالم. إنه الرب الذي عمل كل ما عمل الأنبياء وأكثر بكثير. لأن ذلك النبي هو الله الظاهر في الجسد.

الفصل الحادى عشر

يسوع الخالق

«فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ سَيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلَاطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ».

(كولوسي ١: ١٦-١٧).

يبدأ الكتاب المقدس بهذه الكلمات الرائعة، «فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» (تكوين ١: ١). يتحدث إنجيل يوحنا عن يسوع قائلاً، «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ» (يوحنا ١: ٣). فلا شيء يمكن أن يكون أكثر وضوحًا يُظهر إلهية يسوع المسيح مثل أن نعلم أنه قد خلق كل شيء. لقد خلق يسوع كل الأشياء. فكل شيء هنا تشمل ليس فقط الأشياء المادية ولكن أيضًا الأشياء غير المادية. كما تشمل جميع صور الحياة وجميع الملائكة والكائنات الروحية التي لا نراها.

ليس هناك شك في أننا نعيش في عالم مُذهل. ولكن بعض الناس تحاول وصف الكون بدون خالق. هذا يُشبه محاولة وصف أحد المنازل المجاورة بدون المهندس أو النجار الذي قام ببنائه أو كمن يشرح لوحة مشهورة بدون الفنان الذي قام بالعمل. أنها كمثال جوقة تهتف هلوليا بدون أداء يليق بمن

نهتف له. بل سيكون الأمر أشبه بمحاولة وصف الطائرات العملاقة بدون مهندس الصيانة. هذه الأشياء لم تحدث وحدها ولم توجد بالصدفة. فهي لم تخترع نفسها، ولكن بالتأكيد كان هناك شخصاً ما صممها وصنعها.

يسوع فوق الكل، هي حقيقة رأيناها في العديد من الأوصاف التي ناقشناها. إنه عظيم لأنه نور العالم وصديق الخطاة، والراعي الصالح، وبالتأكيد عظيم لأنه الخالق. يُقال أحياناً عن المخترع إنه مبدع عبقرى. فكم بالحري عندما نفكر في من صنع كل شيء، فإننا نعجز عن الكلام. إنه عظيم فوق كل عظمة وفوق كل شيء.

١- هو الخالق القدير

لاحظ تكرار هذه الكلمات في هاتين الآيتين من المقطع الكتابي الذي ذكرناه في مقدمة الفصل في كولوسي، «كل شيء» حيث تتكرر هذه الكلمات أربع مرات. وهكذا يتكرر في إنجيل يوحنا نفس التأكيد ويقول خالق «كل شيء» لا يمكن أن يكون هناك إقرار وتأكيد أكثر قوة من هذه الكلمات إذ قيلت بالإيجاب ثم بالنفي عندما قال أن بدونه لم يكن شيء مما كان.

ما الذي يتضمنه «كل شيء»؟ أنها كلمة تتضمن أكثر بكثير مما نفكر به عادةً لأنها تتضمن أصغر الأشياء وأيضاً كل الأشياء الكبيرة. تأخذنا هذه الحقيقة إلى عالم الأحياء وعلم الفلك. فهناك كائنات حية صغيرة تتطلب مجهرًا عالي الطاقة ليتم رؤيتها، وهناك أيضًا نجوم ضخمة في الفضاء تحتاج إلى أقوى التلسكوبات التي تم اختراعها من أجل رؤيتها. ومع ذلك، لا يمكننا

رؤية كل شيء حيث يتم إجراء إكتشافات من وقت لآخر. وكلما عرفنا المزيد عن الكون، كلما رأينا عظمة خالقنا.

ما رآه أي شخص في العالم المرئي هو في منتهى الصغر مقارنةً بما هو موجود. عندما نتأمل في العالم غير المرئي، يصبح الأمر أكثر صحة وحقيقة بالنسبة لنا. ومن أجل ذلك يجب أن تتسع أذهاننا بسبب اتساع الخلق. فكل هذا يشير إلى خالق عظيم. «أَرْفَعُوا إِلَى الْعَلَاءِ عُيُونَكُمْ وَأَنْظُرُوا، مَنْ خَلَقَ هَذِهِ؟ مَنْ الَّذِي يُخْرِجُ بَعْدَ جُنْدَهَا، يَدْعُو كُلَّهَا بِأَسْمَاءٍ؟ لِكثَرَةِ الْقُوَّةِ وَكَوْنِهِ شَدِيدِ الْقُدْرَةِ لَا يُفْقَدُ أَحَدٌ» (إشعياء ٤٠: ٢٦)، لقد فهم المرنم هذه الحقيقة جيداً عندما كتب: «السَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ مَجْدَ اللَّهِ، وَالْأَفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ» (مزمو ١٩: ١).

ربما يكون لدينا الكثير من الشكوك حول الخلق مرتبطاً بالوقت القليل الذي نقضيه في النظر إلى النجوم التي صنعها الله أو الاستماع إلى الطيور التي تغني في الغابة. فنحن أكثر استعداداً لقضاء الوقت أمام التلفاز أو بعض الأجهزة الإلكترونية الأخرى. أينما خطونا في خلق الله أو ما نراه في خليقته، فلو فعلنا ذلك سوف يجعلنا نغني بعظمة خالقنا. فكل شيء يشير إلى خالق قدير، اسمه يسوع.

٢- هو خالق حكيم

هناك هدف وتصميم زكي في كل ما صنعه المسيح. فكل ما قد خُلِقَ خُلِقَ له. ولذا، يمكنك أن ترى آثار أقدامه وبصمات أصابعه في كل مكان.

وسوف ترى أن كل شيء يتلائم معًا. ومع ذلك لا يرى البشر أن وراء هذه الخليفة يوجد خالق حكيم. يمكنني أن أشبه ذلك بالإشارة إلى سجادة فارسية كنت قد أقنيتها وعلى أحد أطراف جوانبها، ترى الكثير من الخيوط التي تجتمع معًا خارجة من السجادة نفسها، ولكن على الجانب الآخر، ترى تصميمًا ومنقوشات جميلة تتناسب جميعها معًا. هذه هي الطريقة التي ينظر بها بعض الناس إلى الكون. حيث ينظروا فقط من خلال نظريات الإنسان، ويفشلوا في رؤية ذلك التصميم الجميل. أنهم يدرسون الخلق بدون الخالق. في الحقيقة إن الانسجام والتلائم الظاهر في الطبيعة يشير بوضوح إلى الخالق. ولكن عندما يدمر الإنسان الخليفة (أحد الغابات) مثلاً، تغادر الطيور، وتزداد الحشرات. كما تحدث انهيارات لسدود طينية مما يجعل المياه تتدفق بلا كابح، وتكون النتيجة هي مغادرة الحيوانات المختلفة لأنه لن يكون لديهم مكان آمن للحماية أو شيء يأكلونه. ويؤدي ذلك إلى إنزعاج وإضطراب للنظام البيئي بأكمله.

يجب علينا أن نعرف سبب خلق هذه الخليفة. ولكن الهدف والقصد منه لا يوجد في إنسان بل الله. كتب بولس سابقاً أن كل شيء به وله قد خُلق. كثيراً ما نتحدث أن القصد من هذه الخليفة هو سعادة الإنسان. فنحن نتمتع بالأشياء التي صنعها الله، ولكن الهدف من الخلق هو إظهار مجد الله. نعم قد تكون السعادة ناتجةً ثانوياً. ولكن يجب أن يكون الغرض من الخلق هو أيضاً غرضنا الذي هو أن نعيش لمجد خالقنا. يذكر إشعياء الغرض من الخليفة بشكل رائع فيقول: «هَذَا الشَّعْبُ جَبَلَتْهُ لِنَفْسِي. يُحَدِّثُ بَتَسْبِيحِي» (إشعياء ٤٣: ٢١).

يخبرنا إشعياء أن المسيح يجب أن يكون مركز حياتنا. فعندما نصبح نحن المركز، نفقد الغرض الذي خلقنا الله لأجله. وعندئذٍ نتحرك في البرك الراكدة التي تجف، ولكن عندما يصبح المسيح مركز حياتنا، تنتقل إلى المياه الحية التي تنعش وتشفى. ذلك لأن الخالق الحكيم خلقنا لنفسه. أي غرض آخر غير مجده لن يكون كافيًا ولن يستحق أن نعيش لأجله. وهكذا نرى في كل مكان في الخليقة حكمة خالقنا الحكيم.

٣- هو خالق مُتميز

عندما نتأمل في الخليقة نرى كم أن الله فريد لأنه قبل كل هذه الأشياء. وهو لم يستخدم أشياء موجودة سابقًا ليقول بها. ولكنه تكلم، فكان كذلك. كما إنه لم يعتمد على أي شيء في الخلق. إنه منفصل عن كل المخلوقات. ولم يكن هناك وجود للكون قبل يسوع. وليس هو الكون لأن يسوع قبل الكون بل فوقه. فنحن لا نعبد الكون أو الأشياء التي في الكون. والخالق وحده هو من يستحق عبادتنا. وبالتالي فإن عبادة كائنات الخليقة هي عبادة الأوثان؛ إنها خيانة روحية. ما أبعد الفارق بين عبادة الأوثان وبين عبادة الخالق. فعبدادة أي شيء سوى الخالق هو سرقة للإله الحي. ولا يحق لنا أن نأخذ ما يحق لله وحده ونعطيه لشيء أو لشخص آخر سواه.

٤- هو حافظ الحياة

عندما أنهى المسيح عمل الخلق، لم يصبح غير فعّال إذ إنه يمسك ويحمل الكون أيضًا. فبدونه سوف يطير الكون بعيدًا. يخبرنا العلماء أن كرة الأرض مُعلقة على لا شيء. كما إننا ندور بسرعة عالية عبر الكون. فلماذا لا تترك

الأرض مدارها؟ السبب هو يسوع. إننا لا ننكر فائدة قوانين الجاذبية والقوانين الأخرى ولكنها ليست التفسير النهائي. إن خالقنا هو أيضاً حافظ حياتنا.

هذه الحقيقة تعني أننا مخلوقات تعتمد على آخر. نعم فبدون الله لا نقدر أن نعيش دقيقة واحدة. ومع ذلك نجد كثير من الناس بالكاد يفكرون في الله، بالرغم من أن نفوسهم تعتمد على من ينكرون وجوده. قد ينكر الطفل الذي لم يولد بعد وجود العالم، لكن ذلك لن يغير حقيقة وجود العالم على الإطلاق.

توجد في بعض المصانع الكبيرة غرف تحكم. وفي داخل كل غرفة هناك أجهزة كمبيوتر معقدة وأشخاص تتحكم في ما يجري في المصنع. وإذا استطعنا أن نرى ما وراء هذه الأرض التي نعيش فيها، وما وراء الكون، سنرى الخالق يحافظ ويوجه كل الأشياء التي صنعها. كما يمكننا عندئذٍ ندرك أن الكون لا يطفو بلا هدف ولكن له غرض يتعلق بالخالق الذي هو يسوع المسيح.

كثير من الناس يستمتعون بالعالم الذي صنعه خالقنا. يتسلقون الجبال الشامخة أو يذهبون إلى المحيط. أنهم يعتمدون على خالق لا يعرفونه. ومع ذلك لا يسعون أن يتعرفوا عليه ولا أن يشكروه أبداً. إن الخالق يحبنا جداً لدرجة أنه أصبح جزءاً من الخليقة لأجل خلاصنا. هلوليا، إن ملكنا وخالقنا هو أيضاً فادينا ومخلصنا. الذي خلق أول رجل وامرأة دخل رحم مريم وولّد كطفل صغير. لقد جاء الشخص الذي عمل العالمين إلى الأرض وعاش هنا. بل علّق الشخص الذي خلق الأشجار على شجرة لإنقاذنا. مات لأجلنا الذي صنع الحياة ووهبها لنا وقام من الأموات في اليوم الثالث. مستحق وحده الخالق الذي هو أيضاً فادينا كل مجد وكرامة وتسييح.

الفصل الثاني عشر

يسوع الرئيس (الرائد)

«نَاطِرِينَ إِلَى رَئِيسٍ (رائد) الْإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ، الَّذِي مِنْ أَجْلِ السَّرُورِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ، أُحْتَمَلَ الصَّلِيبِ مُسْتَهْيِنًا بِالْخِزْيِ، فَجَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ اللَّهِ» (عبرانيين ١٢: ٢).

كان شلل الأطفال واحدًا من أكثر الأمراض التي تُخيفني عندما كنت صبي صغير. فالكثير من الناس أصابهم الشلل وقد مات بعضهم بسبب هذا المرض. وفي بعض الأحيان، كان يلجأ البعض لإستخدام رثة صناعية من أجل بقاء الحياة. وقد قام بعض الأطباء الباحثين بأعمال جادة للوصول إلى حلول. وكان أحد رواد الأطباء الدكتور سالك الذي سُمي اللقاح على اسمه. واليوم قد تم القضاء على هذا المرض تقريبًا.

لقد جاء رواد أيضًا إلى الولاية التي أعيش فيها منذ سنوات عديدة. كان عليهم أن يبنوا منازلهم الخاصة، وأن يستصلحوا الأراضي الزراعية، ويقوموا ببناء مدن جديدة. فلم تكن هناك متاجر أو مستشفيات أو بنوك. ولذلك كان الرواد ضروريين لجميع تلك المجالات. وكرواد جاءوا وعملوا، فأثرت رؤيتهم ثمارها، وبُنيت المدن الحديثة.

يتحدث الكتاب المقدس عن بعض رواد الإيمان. كان إبراهيم واحد منهم الذي دعاه الله أن يترك بلده حيث نشأ ويذهب بعيدًا ليعيش بين شعب لا

يعرفه. كان يسوع رائدًا فقد ترك أمجاد السماء ليأتي إلى مكان لا يرحب به. ويسوع بصفته رائد لن يتفوق أحد عليه.

١- في الماضي

على الرغم من أن يسوع هو الله، فقد دخل في الخليقة التي هي من صُنعه. لقد أصبح إنسانًا بدون أن يتوقف من كونه الله. فلم يتضع أحد مثلما اتضع يسوع. لقد ترك مكانًا كاملاً ليعيش في مكان يوصف بالنقص. ترك مكان الحب ليدخل مكان الكراهية. ترك ثروات السماء ليأتي إلى فقر الأرض. ترك مكانًا حيث تنحنى له الملائكة، ويتغنوا بحمده، و يعبدوه كملك ليصبح خادمًا. عاش يسوع كخادم. فقد كان ينام تحت النجوم، ويمتلك القليل من الملابس التي كان يرتديها. ربما لا شيء يظهر إتضاع يسوع كخادم أيضًا مثل الوقت الذي فيه غسل أرجل تلاميذه. إننا ربما لا نُقدّر حق تقدير ما فعله يسوع لتلاميذه بعدما سافروا في الطرق الحارة الممتلئة بالأتربة.

كان التلاميذ يقبلون بكل سرور منصب القائد، ولكن قليلون منهم يريدون أن يأخذوا مكانة الخادم. لم يعرض أي من التلاميذ أن يغسل أقدام إخوته؛ فقط يسوع من قام بذلك. دائمًا ينتبه الناس إلى القادة، لكن لا يُقال سوى القليل عن الخدم. بينما أفضل القادة هم أيضًا خُدام، وهذا ما رأيناه في يسوع. إن الخادم عادةً يقوم بعمل الأشياء الوضيعة ومع ذلك قال لنا يسوع أنه يجب أن نفعل ما فعله كقدوة ومثال لنا.

يدفع جميع الرواد تقريبًا ثمن ما يفعلونه، وهو ليس بالأمر السهل، وغالبًا ما يكون غير مريح. وأن تكون خادمًا يعني أحيانًا أنه سيكلفك حياتك أو حتى

موت أطفالك. وهكذا نرى أن يسوع دفع ثمنًا باهظًا ليكون خادماً. لا يمكننا بشكل كامل أن ندرك ذلك بسبب فهمنا المحدود لما تركه يسوع ورائه لنعمله. ومع ذلك، فنحن نعرف نوع المكان الذي أتى إليه، إنه الصليب حيث قدم يسوع أعظم تضحية. ولذلك، كان يسوع حقًا رائدًا فيما فعله كما تبينه الأناجيل.

٢- في الحاضر

الآن يسوع كرائد لا يقل أهمية في الحاضر كما كان في الماضي. فالعديد ممن كانوا رواد في الماضي هم مجرد ذكريات الآن. لقد رحلوا ولا تتعلق بهم الأحداث الجارية. وأما يسوع لا يزال رائدًا حيًا نشط في إختباراتنا الحالية. فهو دائمًا رائد إيماننا لأنه دُعي «رئيس ومؤلف خلاصنا» إنه موضوع إيماننا، والمكان الذي يبدأ وينتهي فيه إيماننا أيضًا. إذ أن إيماننا لا يعتمد على معتقد الناس ولا حتى أعمالهم الحسنة. إن الروح القدس ييكتنا على الخطية ويقودنا إلى يسوع. إنه دائمًا يوجهنا إلى المسيح. وهذا لا يعني أننا نتجاهل الروح القدس أو نتجاهل الآب الذي أحضرنا يسوع إليه.

بدون المسيح، لن يكون هناك خلاص. فهو يقف وحده كمخلص. وهذا ما يعنيه اسمه. كما يُطلق عليه آدم الأخير، إذ قد أخطأ آدم الأول في العصيان. ومنذ ذلك اتبعت البشرية كلها طريقه. وهكذا تتشابه قصة كل واحد فينا. إننا قد أخطأنا وأعوزنا مجد الله. ولكن عندما جُرب آدم الأخير، يسوع، لم يخطئ. فهو عاش حياة مثالية كاملة وبالتالي تمكن من أن يصبح البديل لنا فوق الصليب. لقد كان آدم الأول يُمثلنا جميعًا في الخطية. وكذلك كان آدم الأخير، يسوع يُمثلنا في حياته الكاملة وكذلك يُمثلنا كذبيحة لنا عن الخطية.

يسوع هو رائد خلاصنا، ومع ذلك لا يزال الكثير من الناس يحاولوا شق طريقهم الخاص بينما يوجد طريق واحد فقط هو يسوع نفسه.

لا يرى بعض الرواد نتائج أعمالهم أبدًا. وأما يسوع فدائمًا يرى لأنه مُكمل خلاصنا إلى النهاية. وما قد ابتدأه يسوع، سوف يكمله. إن يسوع هو نقطة بداية لإيماننا، لكنه أيضًا نقطة نهاية إيماننا. هو الشخص الذي من خلاله نبدأ دائمًا رحلة إيماننا، لكنه أيضًا الهدف الذي نتحرك نحوه. عندما نبدأ الحياة المسيحية، قد تشعر أنها رحلة طويلة، لكن لدينا هذا التأكيد أن المسيح سيكون معنا في كل خطوة من هذه الرحلة. فهو لنا الحياة وسوف يكمل العمل الذي بدأه فينا. يبدأ بعض الفنانون في الرسم، ولكنهم عندما يشعروا أنهم غير راضين عما عملوه، يرمون به بعيدًا. ولكن يسوع لا يطرحنا أو يلقي بنا بعيدًا أبدًا. «وَأَثَقًا بِهِذَا عَيْنِهِ أَنَّ الَّذِي أَبْتَدَأَ فِيكُمْ عَمَلًا صَالِحًا يُكْمَلُ إِلَى يَوْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (فيلبي ١: ٦).

لأننا إذا تركنا وحدنا بعد أن بدأنا في اتباع المسيح، فهناك سيكون العديد من الإخفاقات والأمور الفاشلة، وسوف يكون الطريق ممتلئًا بتحديات الأعمال غير المكتملة. ولكن ليس هذا هو الحال معنا لأن المسيح هو لنا الحياة. يسير معنا طوال رحلتنا. ونحن بحاجة إليه اليوم مثلما بدأنا في تبعيته للمرة الأولى. كما يجب أن تعتمد عليه كل يوم. فنحن لا نصبح مسيحيين متفرجين ولكننا قديسين سائحين، مسيحيين نتبع الرب يسوع. نحن جنود في خِضم المعركة. نحن أطفال ممسكين بيد أبانا السماوي. ومن الألف إلى الياء، كل ما يدور حول الحياة المسيحية هو يسوع وهو كل ما نحتاجه اليوم للنصر.

٣- في المستقبل

إننا إذا تطلعنا إلى المستقبل نحو ١٠,٠٠٠ سنة، فسوف نجد يسوع هناك. إنه سيبقى رائدًا على الدوام وسيكون دائمًا على قمة التاريخ. يعيش بعض المسيحيون في أصعب الظروف إذ بسبب إيمانهم، يتم رفضهم من قبل العائلة والأصدقاء، وربما لا يحصلون على عمل جيد لإعالة أسرهم. وربما بسبب إيمانهم يضطرون إلى الإختباء أو العبادة في الخفاء. ولكن كل هذه المشاكل لن تستمر إلى الأبد، لأن يسوع شق لنا طريقًا إلى السماء. وهو قد مضى أمامنا، ويقول الكتاب المقدس أنه جلس عن يمين الله، ليعد لنا مكانًا.

إن الأشياء التي أمامنا والتي ننتظرها رائعة جدًا لدرجة أنه سيكون من الصعب علينا أن نفكر في المشاكل التي واجهناها هنا. نعم، قد تواجهك هنا الكثير من الأمراض أو ربما تصاب بنوع من الشلل وتكون غير قادر على الحركة بحرية. ولكن عندما يأتي يسوع مرة أخرى، ستغير أجسادنا. ولن يكون هناك مرض ولا موت ولا مزيد من الدموع. سيكون لدينا أجساد مُمجدة تتلائم للعيش في بيت الآب. سوف نمتلك أجسادًا لا تضعف ولا تفسد. ولن تكون هناك حاجة إلى مستشفيات فيما بعد، ولن تكون هناك حاجة إلى علاجات. وسوف نعيش في مجد ونتمتع بحضور المسيح الدائم إلى الأبد.

هناك أشياء كثيرة لا يمكننا معرفتها عن السماء. ماذا سنفعل هناك؟ إننا نعلم أننا سوف نسبح الرب، فنحن لن نتسكع على السحاب أو الأرائك السماوية. بل سنكون فاعلين وقادرين على خدمة الرب بطرق لا نستطيع

فهمها تمامًا الآن. سوف نكون في السماء ذلك المكان الذي طالما حلمنا به وأكثر من ذلك بكثير. وعندما نصل إلى هناك، سنشعر بأنه كان المنزل الذي اشتهيناه. إننا على يقين بذلك أن يسوع سوف يكون هناك في المستقبل.

هل تحتاج إلى رائد؟ هذا يتوقف على ما إذا كنت مكتفي بمكانك، أو بالأشياء القديمة أم لا. ذلك لأن الرواد يفتحوا لنا الطريق أمامنا. ويسوع هو رائد الأشياء الجديدة التي يستطيع أن يُحضرنا معه إلى الآب، الذي يمكنه أيضًا أن يغير حياتنا ويجعلنا خلائق جديدة. إنه مؤلف ومُكمل (إلى النهاية) إيماننا، بل رائد إيماننا، الرب الذي قال: «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يوحنا ١: ٦).

الفصل الثالث عشر

هل المسيح متأخر جداً؟

«وَفِيمَا هُوَ يُكَلِّمُ الْجُمُوعَ إِذَا أُمُّهُ وَإِخْوَتُهُ قَدْ وَقَفُوا خَارِجًا طَالِبِينَ أَنْ يُكَلِّمُوهُ. فَقَالَ لَهُ وَاحِدٌ: هُوَذَا أُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ وَاقِفُونَ خَارِجًا طَالِبِينَ أَنْ يُكَلِّمُوكَ. فَاجَابَ وَقَالَ لِلْقَائِلِ لَهُ: مَنْ هِيَ أُمِّي وَمَنْ هُمْ إِخْوَتِي؟ ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ نَحْوَ تَلَامِيذِهِ وَقَالَ: هَا أُمِّي وَإِخْوَتِي. لِأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ مَشِيئَتَهُ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي» (متى ١٢: ٤٦-٥٠).

«أَنَّهُ لَاقَى بِذَاكَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ أَلْكُلُّ وَبِهِ أَلْكُلُّ، وَهُوَ آتٍ بِأَبْنَاءٍ كَثِيرِينَ إِلَى الْمَجْدِ، أَنْ يُكَمَّلَ رَئِيسَ خَلَاصِهِمْ بِالْآلَامِ. لِأَنَّ الْمُقَدَّسَ وَالْمُقَدَّسِينَ جَمِيعَهُمْ مِنْ وَاحِدٍ، فَلِهَذَا السَّبَبِ لَا يَسْتَحْيِ أَنْ يَدْعُوهُمْ إِخْوَةً، قَائِلًا: «أَخْبِرْ بِاسْمِكَ إِخْوَتِي، وَفِي وَسَطِ الْكَنِيسَةِ أُسَبِّحُكَ» (عبرانيين ٢: ١١-١٢).

كم من الإخوة والأخوات لديك؟ ربما يكون لديك واحد أو اثنان، أو ربما هناك أكثر من ذلك بكثير. في كثير من الأحيان، نتحدث في الكنيسة عن إخوتنا وأخواتنا في المسيح. فالكنيسة هي عائلة المؤمنين، لذلك غالبًا ما نعبّر عن العلاقة بيننا بهذه الطريقة لأن الله هو أبونا السماوي. ولذلك، يُطلق على المؤمنين المسيحيين أبناء الله أو أولاد الله. وكما ندخل العائلة من خلال الولادة الجسدية، هكذا ندخل إلى عائلة الله من خلال الولادة الروحية.

إذا كان يسوع يُدعى الابن، ونحن نُدعى أبناء، أفلا يجعلنا ذلك إخوة معاً؟ تحدث يسوع عن علاقته بعائلته عندما جاء بعض أفراد عائلته ليروه. فأشار يسوع إلى تلاميذه وقال إن الذين يصنعون مشيئته هم إخوته وأخواته. ربما لم تفكر كثيراً في المسيح كونه أخيك، ولكن هذا يُعلمنا بعض الأشياء المهمة عن يسوع المسيح.

١- يسوع هو مثالنا

إنك لن ترَ إنساناً حقيقياً قط حتى ترى يسوع. إذا كنت تريد أن تري رجلاً مُعافى هل تذهب الى المستشفى؟ بالطبع كلا، لأنك سوف تجد مرضى هناك، وقد تجد بعض المرضى قريبة من الموت. كما قد تجد بعضهم يصرع السرطان أو أي مرض آخر خطير. أو هل ستذهب إلى ملجأ للمُسنين أو مسكن للمتقاعدين؟ أشك في فعلك ذلك، لأنه سيكون هناك كبار السن الذين تدهورت صحتهم. في الحقيقة لا يوجد مكان يمكننا الذهاب إليه على هذه الأرض للعثور على مثال كامل وصحيح لإنسان. ولكن يسوع وحده هو الكامل وفيه كل ما قصده الله لنا أن نكونه.

من المؤكد أن هناك أشخاص أقوىاء بيننا كما يوجد بعض العباقرة في وسطنا. ومع ذلك، هناك دائماً نقص وضعف جسدي أو عقلي أو روحي، وغالباً يمكن أن تجد جميعهم. ربما نستطيع أن نستخدم كلمة واحدة لنصف صفات وخصائص الحياة الإنسانية كما عرفناها وهي: «عدم التوازن». إليك أن تختار أحد أكثر الأشخاص الذي تفضله أو تعجب به، ثم انظر إليه بتأمل عن قرب، وستجد بعض من عدم التوازن، وبعض نقاط النقص.

لقد اتفقت شهادة أولئك الذين عرفوا يسوع عن قرب مع شهادة أعدائه على أنهم لم يجدوا أي خطأ في يسوع. يسوع إذًا، كان هو المثل الذي في خطة الله لصورة الإنسان. إنه المثل لما يريد الله يفعله في حياتنا وهو أيضًا الهدف الذي لا بُد أن نطمح إليه. يخطط الله أن يصير كل مؤمن بالمسيح مثل يسوع. إنه يعمل في حياتنا لتشكيلنا كمثال خِزَافٍ يعمل في الطين. وإن كنا اليوم في مراحل مختلفة من النمو، لكن عندما يكمل ويُنهى الله عمله فينا، سنكون مثل يسوع.

من الطبيعي أن يكون للشباب بطلًا؛ شخصًا ما يبحثون عنه ويريدون أن يكونوا مثله. قد يكون هذا الشخص أحد لاعبي كرة القدم أو قد يكون نجمًا سينمائيًا أو ربما مغنيًا مشهورًا. ونحن كمؤمنين مسيحيين، يجب أن يكون لدينا بطل واحد فقط، ومثال واحد فقط نتبعه، وهو يسوع «لأنكم لهذا دعيتُم فإن المسيح أيضًا تألم لأجلنا تاركًا لنا مثالًا لكي تتبعوا خطواته». (١بطرس ٢: ٢١) منذ سنوات عديدة، كُتِبَ كتاب كان عنوانه: «على أثر خطواته». وكان الكتاب يحكي قصة عن ماذا كان سيحدث عندما يحاول الناس من مختلف المهن أن يعيشوا الحياة التي كان يسوع سيحيها طبقًا لما يؤمنوا به، وماذا كان سيفعل يسوع نفسه لو عمل في مثل هذه الوظائف التي يعملوا بها.

إن يسوع كالأخ لنا أعطانا مثالًا عن الكيفية التي ينبغي أن نحيا بها حياتنا. «لِأَنِّي أَعْطَيْتُكُمْ مِثَالًا، حَتَّى كَمَا صَنَعْتُ أَنَا بِكُمْ تَصْنَعُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا». (يوحنا ١٣: ١٥) لقد تكلم يسوع بهذه الكلمات بعد أن أخذ منشفة وغسل

أرجل التلاميذ. لقد جعل نفسه قدوة كخادم للآخرين. نعم نحترم ونقدّر إخواننا وأخواتنا، لكن هناك واحدًا فقط من يستحق أن نتبعه. إنه يسوع وحده.

٢- يسوع هو من يمثلنا

يسوع كأخينا هو أيضًا ممثلنا. إنه يُدعى: «الإنسان يسوع المسيح». كلنا نعرف أنه من خلال آدم جاءت الخطية والموت، ولكن بالمسيح جاء البر والحياة. ولا يمكن لأي إنسان أن يكون ممثلنا أمام الله. كما لا يمكن أن يكون شخص مثل آدم قد خضع للتجربة وعصى الله. وعندما نقول أن المسيح مات من أجل خطايانا، فإننا نقول شيئًا أكثر روعة مما يدركه معظمنا. لقد مات البار الكامل والقدوس من أجل خطايانا. لم يكن يسوع قدوسًا فحسب، بل كان يفعل أشياء مقدسة. كما إنه لم يكن بارًا فقط بل فعل الأشياء الصحيحة. لقد كان في شخص يسوع كل ما قصده الله أن نكون. ولم يجد الله شيئًا ناقصًا في ابنه. يسجل الكتاب المقدس أكثر من مرة أن الله الأب قد تكلم وفي كل مرة قال أنه مسرور بابنه.

يتحدث المؤرخون عن نقاط تحول في التاريخ. كان مجيء يسوع بالتأكيد نقطة تحول رئيسية في كل التاريخ. فهو قد قسم التاريخ إلى قسمين: قبل ميلاده وبعده. ماذا كان الحال قبل مجيء يسوع؟ كان الناس يبتعدون عن الله. وأما بعد مجيء يسوع، فماذا نجد؟ يأتي الكثير من الناس إلى الله! كما نجدهم يتحولون من الموت إلى الحياة، ومن اليأس إلى الأمل، ومن الظلام إلى النور. كان مجيء يسوع علامة على انقسام واضح بين الناس. ليس الجميع أخوة ليسوع، لأن ليس الجميع في عائلته. قال يسوع أنه ستكون هناك

انقسامات في العلاقة الأسرية. هذا صحيح اليوم إذ قد تقطع الأسرة جميع الروابط مع الابن أو الابنة إذا اتبعوا المسيح.

إن يسوع لا يمثلنا فقط أمام الناس، ولكنه يمثلنا أيضًا أمام الآب. فهو يُدعى وسيطنا، إنه الوسيط الذي يقف بين طرفين ليجمع بينهما. تحدث بولس عن مصالحتنا مع الله. وهذه هي حاجتنا، أن نُحضر من جانبنا إلى جانب الله، وهذا ما فعله يسوع إذ قادنا إلى الله القدوس. في اليابان، يُمسك الأزواج بشكل تقليدي من قبل «وسيط»، يكون طرف ثالث بينهما. ذلك يُشبه ما فعله يسوع كممثل لنا، إذ أخذ بأيدينا لكي يصلها بالآب. إن من يقوم بهذه الوظيفة ليس وسيطًا غير مهتم، لكنه شقيقنا الكامل، يسوع. ولن يمثل أي محام بأمانة كما يمثلنا يسوع أمام الآب.

٣- يسوع هو من يتعاطف معنا

نتحدث دائمًا عن التعاطف مع الآخرين، ولكن أن نقوم بذلك التعاطف بشكل جيد هو أمر يدعو للشك فيه. فقد يقول شخص ما على سبيل المثال، «أنا أعرف ما تشعر به». ربما يكون ذلك صحيحًا إذا كانت لدينا تجربة مماثلة. قرأت سابقًا عن رجل أستاذ جامعي فقد كل من زوجته ووالدته وابنته، البالغة من العمر أربع سنوات، في حادث سيارة بسبب سائق كان مخمورًا. كتب كتابًا عن تجربته وذكر أنه لم يتغلب أبدًا على حزنه. إنه لا يعرف سبب وقوع الحادث ولا يزال يبكي وهو يتقدم لتناول المائدة. هل يمكن أن نفهم حزنه؟ هذا مشكوك فيه، لكن يمكننا أن نتعاطف معه.

لقد اختبر يسوع أحزاننا. فقد بكى وتألم. لا يمكننا أبدًا أن نقول إن لا أحد يفهم ما نمر به. فيسوع دائمًا يفعل ذلك لأنه أختينا. وهو قد دُعي: «رجل الأوجاع»، هل سبق لك أن ذهبت إلى المستشفى حيث يجب عليك ارتداء عباءة خاصة وكمامة وقائية لزيارة المريض؟ لم يأت يسوع إلينا بملابس خاصة ليدخل حجرة العزل. بل قد أتى إلينا كالإنسان الأخ إلى حيث نحن. لم ير الناس أي ضوء خاص أو هالة من حوله. بل عندما رأوا يسوع رأوا إنسانًا. وعلى الرغم من أنه الله الكامل الذي جاء إلى الأرض، إلا أنه لم يمارس كل صفاته لأنه جاء كخادم كأختينا.

لم يفكر أحد من أصدقاء الأبرص أو حتى أحد أفراد أسرته في لمسه، لكن يسوع وحده من فعل ذلك. وعندما اقترب يسوع من القبر حيث دفن صديقه لعازر، بكى. وعندما نظر إلى أورشليم وهو يتأمل في عماهم الروحي، بكى أيضًا. «فَإِذْ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ عَظِيمٍ قَدْ أَجْتَارَ السَّمَاوَاتِ، يَسُوعُ ابْنُ اللَّهِ، فَلَنَتَمَسَّكَ بِالْإِقْرَارِ . لِأَنَّ لَيْسَ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ غَيْرُ قَادِرٍ أَنْ يَرْتِي لِضَعْفَاتِنَا، بَلْ مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بَلَا خَطِيئَةٍ. فَلَنَتَقَدَّمَ بِثِقَةٍ إِلَى عَرْشِ النُّعْمَةِ لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ نِعْمَةً عَوْنًا فِي حِينِهِ» (عبرانيين ٤: ١٥-١٦).

هل يمكن أن يتعاطف معنا يسوع في تجاربنا؟ بالطبع نعم وبدون شك، يمكنه ذلك. هل يستطيع يسوع أن يفهم عندما يُساء فهمنا ونُرفض؟ بالتأكيد نعم، يمكنه ذلك. هل يمكن أن يتعاطف يسوع معنا عندما نكون وحدنا بمفردنا؟ نعم، فهو يفهمنا تمامًا. دخل يسوع إلى الوجود البشري بالكامل، وليس إلى أماكن وقائية لحمايته من الأخطار. كان يعرف أين يمكن أن تتسخ

يديه. فكان يسير في طرق مُغبرة ويعيش مع صيادين ذوي طباع فظة. كما أنه لم يقيم في قصر من العاج، يصدر تعاليمه من بعيد. إنما جاء يسوع إلى عالمنا لكي يتألم ويحمل أحزاننا. وبصفته شقيقنا، فإنه يتعاطف معنا أكثر من أي شخص آخر.

إن يسوع يأتي إلينا في إخفاقاتنا، وأعمق أحزاننا، وخيبات آمالنا الكبيرة، ويلف ذراعيه حولنا. قرأت عن أم توفي طفلها في المستشفى. وكانت الأم في حالة من الذهول والحزن. تحدثت إليها ممرضة وأخبرتها عن صبي في السابعة من عمره توفيت والدته. فذهبت هذه المرأة إلى غرفة الصبي وأخذته إلى منزلها. لقد فهمت هذه المرأة معنى الحزن، ولذلك كان تعاطفها مع الصبي الصغير الذي ماتت أمه حقيقياً أيضاً. وهذا ما فعله يسوع من أجلنا الذي سوف يأتي إلينا ويأخذنا إلى بيته.

عندما نفكر في يسوع الأخ لنا، يكون قريب جداً منا لأنه يفهمنا تماماً. ولذلك، فإن يسوع يُحَفِّزنا ويُسْجِعنا ويدعونا أيضاً. إنه يمكن أن يفعل ما لا يمكن لأخ أو أخت أن يفعله. وليس هناك علاقة أفضل أو أعلى نتطلع إليها من أن نكون أخوة أو أخوات في عائلة الله. والآن ها هو يسوع بكونه أخانا يناديك، «تعال واتبعني».

الفصل الرابع عشر

يسوع الكرمة الحقيقية

«أَنَا الْكَرْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ وَأَبِي الْكَرَّامُ. كُلُّ غُصْنٍ فِيَّ لَا يَأْتِي بِثَمَرٍ يَنْزِعُهُ،
وَكُلُّ مَا يَأْتِي بِثَمَرٍ يُنْقِيهِ لِيَأْتِيَ بِثَمَرٍ أَكْثَرَ. أَنْتُمْ الْآنَ أَنْفِيَاءُ لِسَبَبِ الْكَلَامِ
الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ. اثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ. كَمَا أَنَّ الْغُصْنَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَأْتِيَ
بِثَمَرٍ مِنْ ذَاتِهِ إِنْ لَمْ يَنْبُتْ فِي الْكَرْمَةِ، كَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا إِنْ لَمْ تَثْبُتُوا فِيَّ.
أَنَا الْكَرْمَةُ وَأَنْتُمْ الْأَغْصَانُ. الَّذِي يَنْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هَذَا يَأْتِيَ بِثَمَرٍ كَثِيرٍ،
لَأَنْتُمْ بِدُونِي لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا» (يوحنا ١٥ : ١-٥).

هناك العديد من أنواع الأشجار المثمرة التي تأتي بثمار زكية الرائحة.
فالأشجار جميلة وتُفعل ما يفترض أن تفعله. ومع ذلك، فإن بعض الأشجار
لا يهتمون بها حتى تمريض، وعندما يحين وقت الإزهار لا تجد فيها ثمار. ذات
مرة كنت أعطني بشجرة الكرز ذات اللون الأحمر في الفناء الخلفي لمنزلي.
ولعدة سنوات كانت تنتج الكرز الذي كان يُستخدم في صنع فطائر لذيذة.
ولكن تغيرت الأمور عندما دخلت الديدان إلى الشجرة، لأنها ماتت تدريجيًا.

لقد تحدث يسوع عن الكرمة وأغصانها من أجل أن يوضح علاقتنا به.
فقد كان هناك العديد من كروم العنب في إسرائيل، لذلك كان الناس على
دراية بما يشرحه يسوع. فأطلق على نفسه اسم «الكرمة الحقيقية». تشرح
ترجمة موفات هذه الكلمة فتقول، «الكرمة الصادقة غير الزائفة». ماذا
يخبرنا هذا عن يسوع، وماذا يخبرنا ذلك عن أنفسنا أيضًا؟

١- يسوع لديه طريقة فعالة

إن الطريقة التي يستخدمها يسوع هي عملية التقليل، والتي تتم على الكروم وبعض الأشجار الأخرى. بعد عملية التقليل، قد يبدو أن الشجرة قد دُمرت، لكن الشجرة لن تثمر كثيرًا ما لم يتم ذلك. ولذلك، فإن التقليل ضروري للنمو. وبالمثل هناك حاجة لهذه العملية في الحياة المسيحية. فنحن لا ننضج عندما نأتي إلى المسيح، لأن النمو لا يحدث دفعة واحدة. فعلى سبيل المثال، ينمو الأطفال ببطء، وغالبًا لا يمكننا رؤية أي نمو. كذلك نفس الشيء في حياتنا الروحية. إذ يجب أن ننمو، وهذا يعني أن نصبح متعلمين وتابعين للمسيح.

أشياء كثيرة في حياتنا تحتاج إلى عملية التقليل كما حدث للتلاميذ وهم مع يسوع. إذ كان لا بُد من تغيير العادات السيئة وتصحيح المواقف الخاطئة. إن التقليل مؤلم في بعض الأحيان ولكن يقول الكتاب المقدس أن الله يؤدب أولاده. في بعض الأحيان ندخل في حالة من الروتين حيث نشعر بالرضا ولا يبدو أننا نرغب أن نتجاوز ذلك المكان الذي أسترحنا فيه. ولكن لا مكان للجلوس في الحياة المسيحية أو أن تكون كأحد المتفرجين فيها. إن هدفنا أمامنا أكثر من أي وقت مضى، ونحن لم نصل بعد إليه خلال حياتنا هنا. فهناك دائمًا الكثير لتتعلمه ونفعله أثناء وجودنا هنا. تحدث القديس بولس عن الرياضيين الذين يجرون في السباق وهم يطرحون كل ما من شأنه أن يثقلهم. ولأن بعض الأشياء تثقل كاهلنا؛ بالتالي، فإن عملية التقليل ضرورية لحياتنا بفعالية.

ولكن كيف يهذبنا الله؟ إحدى طرق تقليله لنا هي من خلال كلمة الله التي تُدعى: «سيف الروح». إن كلمة الله تخترق وتقطع بينما نحن نقرأها

إذ يبكنا الروح القدس وهو يشير إلى التغييرات التي يجب القيام بها. هذه العملية تشبه النار في حرق الخبث ونفايات المعادن أو الليزر لقطع المناطق الميتة. ربما تكون قد رأيت أشجار الفاكهة التي كانت بها بعض الأغصان الميتة والتي يجب التخلص منها وعدم استنزاف أي قوة للفروع الحية الأخرى.

٢- يسوع له علاقة عميقة معنا

قال يسوع عدة مرات، «ابقوا في» تقول بعض الترجمات، «أُبْنُوا فِي» (يوحنا ١٥: ٤)، يشير هذا إلى العلاقة الحيوية بين الكرمة والفروع، إذ أن الفروع تعتمد على الكرمة. قال يسوع أيضًا، «لِأَنَّكُمْ بِدُونِي لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا» (يوحنا ١٥: ٥). ولذلك، فإن علاقتنا مع يسوع أعمق من أي وقت مضى قضيناه مع صديق آخر أو أحد أفراد الأسرة. إنها علاقة تعتمد على الحياة. فبدون المسيح، ليس لدينا شيء ولا نستطيع أن نفعل شيئًا. نحن مؤمنون تابعون للمسيح ومعتمدون عليه كل الإعتماد من البداية إلى النهاية لأننا لا نتخرج من مدرسته أبدًا. لأنه كما تعتمد الخراف على الراعي ويعتمد الطلاب على معلمهم، والأطفال على أمهاتهم، هكذا نعتد عليه أيضًا. لا يمكننا أبدًا أن نعلن إستقلالنا لأننا مرتبطون بالمسيح بطريقة حياة وحيوية.

مثلما كان يسوع ضروريًا لنا في بداية علاقتنا معه في الحياة المسيحية، كذلك هو ضروري ونحن نواصل الحياة المسيحية. «فَكَمَا قَبِلْتُمْ الْمَسِيحَ يَسُوعَ الرَّبَّ أَسْلَكُوا فِيهِ، مُتَّصِلِينَ وَمَبْنِيِّينَ فِيهِ، وَمَوْطِدِينَ فِي الْإِيمَانِ، كَمَا عَلَّمْتُمْ، مُتَّفَاضِلِينَ فِيهِ بِالشُّكْرِ». (كولوسي ٢: ٦-٧)، كثيرًا ما نقع في المشاكل عندما نحاول أن نعيش الحياة المسيحية بأنفسنا. فإذا سرنا بمفردنا سيؤدي

ذلك إلى كارثة. ولذلك، فإن المؤمن المسيحي الذي يعتقد أنه لا يحتاج إلى الكنيسة مُخطئ بشدة. الحياة المسيحية هي الحياة مع المسيح والحياة في المسيح والحياة من خلال المسيح.

والسؤال هنا ليس مدى قوة الفروع ولكن ما مدى قوة الكرمة. ليس هناك نقص في القوة مع يسوع لأنه يمتلك كل القوة الحيّية. ولذلك، تكمن المشكلة ليست في الكرمة بل في الأغصان. وهذا هو سبب أهمية عملية التقليم. كل ما يجب أن تفعله الأغصان هو أن تثبت وترتاح وتستقبل العصارة من الكرمة. فالأمر ليس ما يمكننا فعله بقدرتنا وفهمنا ولكن ما يمكن أن يفعله المسيح من خلالنا. لذا، نحتاج أن نشبع أنفسنا بكلمة الله وأن نأخذ كلمته في قلوبنا كما نأكل الطعام. لأننا إن أهملنا في الأكل، تصبح أجسادنا ضعيفة. وبنفس الطريقة، إذا أهملنا كلمة الله، فسنصبح مصابين بفقر الدم روحيًا.

تحدث المرنم عن التأمل في كلمة الله ليلاً ونهارًا. قال يسوع أننا يجب أن «نبقى ونثبت في محبته» وأن نُعبّر عن هذه المحبة من خلال الطاعة. هذه ليست طاعة المستعبد بل طاعة الابن أو الابنة. يقول الكتاب المقدس أن الطاعة أفضل من تقديم الذبائح. لأن الطاعة هي ثمرة العلاقة العميقة مع يسوع، بل هي النتيجة الحتمية معه. إذ تزداد الأغصان ثمارًا بنباتها في الكرمة بل تزداد تضاعفًا ونضارةً وجاذبيةً.

٣- يسوع له هدف رائع

خلال فصل الربيع، تتفتح أشجار الكرز في جميع أنحاء اليابان. إنها تبدو جميلة عندما تبدأ في الازدهار في الجزء الجنوبي من البلاد وتشق طريقها

تدريجياً إلى منطقة أقصى الشمال. ليس الغرض من تصميمها هو إنتاج الفاكهة ولكن فقط للإزهار. ولكني زرت مكاناً آخر في اليابان حيث توجد أشجار كرز أخرى مثمرة، يمكنك الذهاب إلى البستان وقطف ما تشاء منها. لكل من الحالتين غرضه الخاص بها. ولكن الأشجار الجيدة يتم تقليمها لكي تأتي بثمار أكثر. يا له من شيء مؤلم ولكن ربما تمنعنا الأشياء الجيدة من أفضل الأشياء.

يريدنا الله أن نأتي بثمر، حيث يوجد العديد من الثمار المختلفة في الحياة المسيحية. تحدث بولس عن بعض منها وأطلق عليها ثمر الروح «وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ، فَرَحٌ، سَلَامٌ، طَوْلُ أَنَاةٍ، لُطْفٌ، صَلَاحٌ، إِيمَانٌ، وَدَاعَةٌ، تَعَفُّفٌ. ضِدَّ أَمْثَالِ هَذِهِ لَيْسَ نَامُوسٌ» (غلاطية ٥: ٢٢-٢٣). وقد تكون الفاكهة في مراحل مختلفة من النمو، وهذا ما نراه في الحياة المسيحية. فبعض الفاكهة بدأت للتو في التكون بينما البعض الآخر في مرحلة متقدمة من النمو، ولكن ربما لم تصل للنضوج بعد.

إن هناك ثمر قد تميز بالشهادة والخدمة. وأنني أؤمن أن هناك أيضاً الكثير من الثمار التي يمكننا أن نختبرها ونراها. فربما يزرع بعض المسيحيون المؤمنون البذرة بينما يُسقيها الآخرون. لكن الله هو النامي الذي يعطي الحصاد في وقته وبطريقته. بعض الأشجار تُنتج وتُثمر فاكهة بسرعة، ولكن البعض الآخر يستغرق وقتاً طويلاً. تأتي الفاكهة بالتأكيد في الزمن المحدد لها من الله، لكننا لا نستطيع أن نسرّع من الثمار. ولكن ما نستطيع نحن أن نفعله هو الثبات والنمو في نعمة المسيح وفي معرفته. وأما تصنيع أو إنتاج الفاكهة فلا تقع على عاتقنا مسؤوليتها لأن الأغصان تعتني بذلك.

عندما نخدم باسم يسوع، فلن تذهب خدمتنا عبثاً أبداً. لأنه سيكون هناك حصاد عظيم لأن الله هو من يعطي الحصاد. فمع المسيح ومن خلاله، لدينا سبب للتوقع الكثير من الثمار. وسوف تكون هناك أشياء رائعة فينا ومن خلالها. ربما يبدو أن الغصن الذي تؤرجحه الرياح لا قيمة له، لكن هذا الفرع نفسه سيحمل بالعنب يوماً ما، «إِذَا يَا إِخَوْتِي الْأَجْبَاءَ، كُونُوا رَاسِخِينَ، عَيْرَ مُتَزَعِرِينَ، مُكْثَرِينَ فِي عَمَلِ الرَّبِّ كُلِّ حِينٍ، عَالِمِينَ أَنَّ تَعَبَكُمْ لَيْسَ بَاطِلاً فِي الرَّبِّ». (١ كورنثوس ١٥: ٥٨)، استعدوا لأن الحصاد قادم!

الفصل الخامس عشر

يسوع الفادي

«عَالَمِينَ أَنْكُمْ أَفْتَدَيْتُمْ لَا بِأَشْيَاءَ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ، مِنْ سِيرَتِكُمْ
الْبَاطِلَةِ الَّتِي تَقْلُدُوهَا مِنَ الْآبَاءِ، بَلْ بِدَمِ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلَا
عَيْبٍ وَلَا دَنْسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ، مَعْرُوفًا سَابِقًا قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، وَلَكِنْ
قَدْ أَظْهَرَ فِي الْأَزْمِنَةِ الْآخِرَةِ مِنْ أَجْلِكُمْ، أَنْتُمْ الَّذِينَ بِهِ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ وَأَعْطَاهُ مَجْدًا، حَتَّى إِنَّ إِيْمَانَكُمْ وَرَجَاءَكُمْ هُمَا
فِي اللَّهِ» (بطرس الأولى ١: ١٨-٢١).

تخيل أنك ولدت قبل ٢٠٠٠ عام. كان من المشاهد الشائعة في ذلك الوقت أن يتم بيع العبيد واستخدامهم كملوكات. ولذلك، لم يكن للعبيد حقوق، وكانوا يخضعون لأهواء أسيادهم. كما كانوا يُعاملون كما لو كان أحد يتعامل مع سيارة أو قطعة أثاث. وهذا يعني أنهم عوملوا في بعض الأحيان بقسوة وبعنف مما كان ينتج عنه تدمير العائلات أو انفصالها في بعض الأحيان.

رَما شاهدت أفلاماً أجبروا فيها العبيد الرومان على تجديف المياه لدفع سفن حربية كبيرة. لقد كانت حياتهم صعبة، بل كانت في خطر دائم. فكان عليهم أن يستجيبوا لتعليمات القبطان أو يتعرضوا للضرب. كان المستقبل قائماً بالنسبة لهم. ماذا كان أعظم أمل ورجاء لهم؟ لقد كانت تتشابه الأيام

في نظرهم وهم يقضون يوم بعد آخر، فلا حرية لهم إلا في حالة واحدة هي أن يقوم أحد بشرائهم ليفكهم ويطلق سراحهم.

يخبرنا الكتاب المقدس أن يسوع جاء ليفعل ذلك الشيء عينه إذ جاء ليطلق سراح العبيد. نعم، يسوع هو فادينا. فكم من تسبيحاتنا تعلن هذا. تقول إحدى هذه التسبيحات، «لقد أفتديت كم أحب أن أعلن ذلك، نعم أفتديت بدم الحمل». ما معنى الفداء؟

١- قدم يسوع فداءً ثميناً

ما هي الأشياء التي يقدرها الناس أكثر من غيرها؟ منذ سنوات عديدة كانت الفضة والذهب من أكثر الأشياء أهمية، ولكن يمكننا اليوم أن نقول أن الأسهم والسندات والمال أصبحوا الأكثر تقديرًا لدرجة أن الناس يموتون حتى من أجل هذه الأشياء، معتقدين أنه يجب أن يمتلكوها ويعتقدون أنها ستجعلهم سعداء. حقًا يمكن أن تكون هذه الأشياء أدوات مفيدة لشراء الطعام والدواء أو حتى استخدامها لإخبار الناس عن يسوع.

ولكن بالرغم من كل هذه، فوائد المال كثيرة، إلا أنها محدودة أيضًا في ما يمكن أن يفعله، ببساطة لأن الفضة والذهب لا يمكن أن يُخلّصنا الروح. فلا يمكنه شراء ما أكثر الأشياء نحن في إحتياج إليها. يعتقد الناس في كثير من الأحيان أن الفقراء الذين لا يملكون المال هم بائسون، لكن هذا ليس صحيحًا بالضرورة. فغالبًا ما يكون الأثرياء الذين لديهم مخزون من الفضة والذهب بائسين. ذلك لأن كل الذهب في العالم لا يمكن أن يجعل الإنسان سعيدًا أو حتى يُخلص أو ينقذ روحه.

سأل يسوع ذات مرة، «لأنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الْإِنْسَانُ لَوْ رَجَّحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الْإِنْسَانُ فِدَاءً عَنِ نَفْسِهِ؟» (متى ١٦: ٢٦)، إن فداء النفس يتطلب شيء له قيمة أكثر من الأشياء المادية. فنحن نحتاج إلى شيء أكثر قيمة من المال لشراء خلاصنا. لأنه لا يمكن للمال أن يشتري الحب أو المغفرة أو الحياة. لقد كان ثمن فداتنا مُكلفًا إذ لم يكن فضة أو ذهب، بل دفع يسوع المسيح دمه من أجل فداتنا. لقد أخذ يسوع مكان العبيد بل تعاملوا معه مثلهم، وضربوه كما لو كان عبدًا ثم مات أسوأ ميتة ممكنة بدلًا منا.

يتحدث الناس عن قيمة الذات لأننا نريد أن نعرف قيمة حياتنا. ما هي قيمة الحياة؟ عندما ندرك أن يسوع مات من أجلنا، يمكننا أن نقول بثقة أن حياتنا لا تقدر بثمن. لا يمكن وضع أي تكلفة مادية على ما دفعه يسوع لأجلنا. لأن العالم نفسه لا يساوي قيمة حياة إنسان واحد. إذا كنت تعتقد أنك غير مهم، لأنك من أدنى طبقات في المجتمع، ارفع عينك إلى يسوع، وانظر إلى قيمتك. لقد مات يسوع من أجل خطايك، هذا قد جعل لحياتك قيمة لا تُحصى إذ أن قيمة الشيء يتم تحديده بالسعر الذي يرغب أي شخص في دفعه. ولأن يسوع قد سَفَكَ دمه ليخلصك، لذلك يمكنك أن تضع دمه على الميزان معك، فلا شيء على الأرض ولا حتى الأرض نفسها سيتوافق أو يتوازن في القيمة مع حياتك.

٢- قدم يسوع فداءً كاملاً

يحاول الناس دائماً فعل شيء واحد وهو تحسين منتجاتهم. على سبيل المثال، يمكنك أن تجد أن أفضل رياضي يكون غير راضٍ أبداً عن نفسه تماماً،

لأنه يعلم أنه يستطيع أن يقوم بأداء أحسن. كما تظهر كل عام موديلات جديدة من السيارات، وتشير من خلال الإعلانات التجارية إلى أنها الأفضل. ولذلك، يحاول صانعو السيارات باستمرار تحسين النماذج التالية. في كل مجال من مجالات الحياة تقريبًا، يمكنك أن ترى أنه ما زال يوجد مجالًا لتحسين منتجاتهم. ولكن ماذا عن خلاصنا والفداء الذي قدمه يسوع لأجلنا؟ هل يحتاج إلى إعادة مراجعة إذ قد صار عملاً قديمًا ويحتاج إلى تحسين؟

الإجابة على هذه الأسئلة بسيطة وهي: «لا يمكن أبدًا». لأن فداء يسوع كان «بلا نقص أو عيب». فلا يوجد فيه أي نقص مطلقًا، ولا يوجد فيه شيء يمكن تحسينه. ولن يستطيع أحد أن يشير إلى ضعف في يسوع ويقول إنه بحاجة إلى تحسن. لا أحد يستطيع أن يقول إنه كان بحاجة أن يقول هذا أو أن يقوم بذلك. لم يكن هناك نقص في يسوع. هذا يتناقض بشكل كبير مع حياتنا التي تحتاج إلى تحسن دائم إذا قارناها بحياة يسوع الخالية من الخطية!

يا له من شيء غريب أن يكون لدى بعض الناس مشكلة مع معجزات يسوع. إنه لا يمكن أن تكون هناك معجزة أعظم من حياة تخلص من الخطية. قد تعتقد أن حياته التي كانت تخلص من الخطية ليست أمر في غاية الأهمية ونحن نتأمل في قصة فداءنا، لكن هذا ليس صحيحًا. لأنه لا يمكن أن يموت أحد بدلًا من إنسان خاطئ إلا إذا كان كاملاً. فلو كان يسوع خاطئًا مثلنا، لكان قد مات بسبب خطيته وليس خطيتنا. ولكن لأن يسوع لم يكن فيه خطية، استطاع أن يصبح بديلًا لنا ويموت بدلًا عنا. هذه هي حقيقة فداءنا أنه قد نُسبت خطايانا إلى يسوع، الذي هو بلا خطية، حتى يمكن أن يُنسب

بره لنا نحن الخطاة. «إِذَا إِنَّ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الْأَشْيَاءُ الْأَعْيَقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا» (كورنثوس الثانية ٥: ١٧).

ولكن السؤال: كيف يستجيب الناس لهذا الفداء الكامل؟ في الواقع يتجاهل الكثير من الناس هذا الفداء العجيب محاولين شق طريقهم إلى السماء من خلال الممارسات الدينية أو الأعمال الصالحة. إذ إنهم يعتقدون أن الله سوف يضعهم في ميزان، وإذا كانت أعمالهم الصالحة تفوق سيئاتهم، سيسمح لهم الله بالدخول إلى السماء. مثل هذا التفكير ينكر ما فعله المسيح من أجلنا. لأنه لا يمكننا فعل أي شيء نضيفه إلى ما هو كامل لأن الفداء قد اكتمل. ولن يكون هناك صليب آخر، ولن يموت يسوع مرة أخرى. لأن ما فعله كافٍ لخلاص كل من يؤمن. «فَإِذَا ذَاكَ كَانَ يَجِبُ أَنْ يَتَأَلَّمَ مَرَارًا كَثِيرَةً مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، وَلَكِنَّهُ الْآنَ قَدْ أُظْهِرَ مَرَّةً عِنْدَ انْقِضَاءِ الدُّهُورِ لِيُبْتَطَلَ الْخَطِيئَةُ بِذَبِيحَةِ نَفْسِهِ» (عبرانيين ٩: ٢٦).

حياة كاملة وموت كامل يساويان خلاصًا كاملاً!

٣- قدم يسوع فداءً دائماً

يوضح الكتاب المقدس أن فدائنا لم يكن تغييرًا مفاجئًا في خطط الله. بل بالحري، كان في خطة الله حتى قبل خلق العالم. وقبل أن يخطئ الإنسان، كان الفداء هو قصد الله. إننا الآن نتحدث عن لغز عميق. هل ترغب في إنجاب طفل إذا علمت أن هذا الطفل سيكرهك ويقاقلك ويسبب لك معاناة كبيرة؟ بالرغم من علم الله لما سيفعله الإنسان، لكنه خلقه وخطط لفدائه.

عندما فدانا يسوع، لم يمنحنا حرية ليوم واحد فقط. بل وجد لنا حرية كاملة وحرية دائمة. فالأمر لا يتعلق بما فعله من أجلنا فحسب، بل ما يفعله من أجلنا أيضًا اليوم. إنه فادينا الحي الذي لم يحرر العبيد وأطلق سراحهم ليذهبوا في طريقهم، لكنه تبنانا في عائلته. في بعض الأحيان نرى صورة يسوع وهو معلق على الصليب. ولكنني شخصيًا أفضل أن تكون الصورة صليبي فارغًا لأن يسوع ليس على الصليب اليوم. لقد أكمل الفداء وهو حي الآن في السماء. ولنا الحق أن نفرح بموته من أجل خطايانا، كما نحتاج أيضًا أن نفرح بقيامته من بين الأموات. إنه معنا اليوم ويحيط بنا. فهو لا يعيش فقط في الماضي أو المستقبل بل اليوم وإلى الأبد.

لدينا الآن علاقة شخصية مع الله بسبب ما فعله يسوع من أجلنا. سجل لنا الكتاب المقدس هذه الحقيقة فقال، «حَتَّى إِنَّ إِيمَانَكُمْ وَرَجَاءَكُمْ هُمَا فِي اللَّهِ.» (بطرس الأولى ١: ٢١)، فما بدأه يسوع فينا؛ سوف يكمله. إنه فادي يهتم بحياتنا اليومية. يريدنا أن نسير معه ونعيش بقوته. في كثير من الأحيان يتحدث بولس عن كونه: «في المسيح» المسيح هو حياتنا، وكمؤمنين به يجب أن نتعلم أكثر فأكثر ما يعنيه فدائه. إذ كلما عرفنا أكثر، تمتلئ حياتنا بالمحبة والشكر.

إذا كان الله قد خطط لخلاصنا قبل تأسيس العالم، وإذا كان قد أعطى الله ابنه الوحيد ليفدينا، وإن كان يعمل في حياتنا لتحقيق الغرض من هذا الفداء، فهل نعتقد أن أي شيء يمكن أن يفسد هذا الفداء أو يدمره؟ بالطبع لا، إنه دائم ومستمر، فلا شيء مرئي أو غير مرئي يمكن أن يغير ما فعله المسيح

لأجلنا. وهذا هو سبب وجود الكنيسة هنا وهو أن تنشر الخبر السار بفداء المسيح. فبدون يسوع، لن تكون هناك كنائس تخبرنا ببشارة الفداء. ألن يكون هناك فرح كبير في كل العالم إذا تم العثور على علاج للسرطان؟ هناك أخبار سارة أفضل وأروع بما يكفي لجعلنا نهتف ونرقص وهي أن يسوع جعل من الممكن أن يفتح أبواب السجن ويطلق سراح السجناء!

الفصل السادس عشر

يسوع (القاضي) الديان

«وَمَتَّى جَاءَ ابْنُ الْإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلَائِكَةِ الْقَدِيسِينَ مَعَهُ، فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ. وَيَجْتَمِعُ أَمَامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ، فَيَمَيِّزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ كَمَا يُمَيِّزُ الرَّاعِي الْخِرَافَ مِنَ الْجِدَاءِ، فَيَقِيمُ الْخِرَافَ عَنْ يَمِينِهِ وَالْجِدَاءَ عَنْ أَلْيَسَارِ» (متى ٢٥: ٣١-٣٣).

«فَيَمْضِي هَؤُلَاءِ إِلَى عَذَابٍ أَبَدِيٍّ وَالْآخَرُونَ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ»
(متى ٢٥: ٣٤).

يسأل الناس أحياناً كيف يمكن أن يكون الله صالحاً، إذا كان يسمح بمثل هذه الشرور في العالم. قد لا نتمكن من الإجابة على هذا السؤال بشكل مناسب الآن لأنه يجب علينا النظر إلى نهاية كل الأشياء للحصول على الصورة الكاملة. إذا حكمنا فقط على ما نراه من حولنا اليوم، فمن المحتمل أن تكون استنتاجاتنا خاطئة. يخبرنا الكتاب المقدس أنه ستكون هناك دينونة نهائية، وسيكون يسوع هو القاضي والديان.

هناك أنواع مختلفة من القضاة على وجه الأرض. قد يكون البعض منهم جهلاء أو غير مؤهلين. وقد يتعرضون لضغوط خارجية من الحكومة أو مجموعات المصالح الاقتصادية. في بعض الأحيان، يقبل البعض رشوة للبت في

قضية للحكم بقرار غير عادلٍ. يقوم أيضًا بعض القضاة بإلغاء القضايا في بعض الأحيان وهذا تبين أنهم غالبًا ما ينظرون إلى الأمور بشكل مختلف غير صائب. لقد أشار أحدهم إلى أننا يجب أن ننتفض ضد الشر وأن نقلب مسألتها رأسًا على عقب. لماذا يوجد الكثير من الخير في العالم كما يوجد الكثير من الشر من حولنا أيضًا؟ إن الحكم لن يكون فقط من جهة أعمال الشر فقط بل هناك حكم على الخير أيضًا. وبالتأكيد سوف تتغير الأمور بشكل كبير إذا أدرك الناس أنهم سيخضعون للمساءلة يومًا ما ويواجهون قاضيًا يعرف كل وقائع ودوافع المتهم.

١- إنه يحكم بالشكل المناسب

يخشى الكثير من الناس القضاء والحكم لأننا نفكر من المنظور البشري المحدود. فلا يمكن لأي قاضٍ أن يعرف كل الحقائق حتى بعد الاستجواب الشامل. بل ربما يمكن أن يُخدع القاضي أو يقتنع بمرافعة محامٍ ماهرٍ. وأما يسوع كقاضٍ هو أكثر شخص مؤهلًا لمنصبه. فيسوع هو الشخصية المحورية في التاريخ الذي يتحرك من خلاله ويشير إليه. وهو قادم ليجلس على عرش المجد. ولذلك، من المناسب واللائق به أن يكون الشخص الذي يعرف التاريخ من البداية إلى النهاية هو القاضي. ومن المناسب أيضًا أن من يرى كل شيء بالتفصيل يكون هو القاضي والديان.

لقد دُفِعَ ليسوع المسيح كل سلطان لكي يحكم. لقد منحه الآب هذه المكانة، وبهذه الحقيقة نرى أن يسوع هو فوق الكل. إذ يمكنه أن يحكم

بشكل أكثر دقة وعدالة من أي قاضٍ آخر: «وَأَعْطَاهُ سُلْطَانًا أَنْ يَدِينَ أَيْضًا، لِأَنَّهُ أَبْنُ الْإِنْسَانِ» (يوحنا ٥: ٢٧). يسوع هو النقطة الفاصلة لجميع الناس، وستكون له الكلمة الأخيرة. إنه مستحق لإصدار الحُكم بسبب هويته وما قد فعله.

لن تكون الكلمة الأخيرة للملوك أو الطغاة، ولن تكون للأشرار الذين جلبوا الكثير من المعاناة على الأرض. فقد يخلقون فوضى على الأرض متحدثين بسلطان هنا. ومع ذلك، فإن كلمتهم الأخيرة هنا لن تكون الكلمة الأخيرة مع يسوع.

هناك شيء غير عادي فيما يتعلق بالدينونة لأن القاضي، يسوع، هو أيضًا من أخطأ في حقه البشر. سيكون السؤال بعد ذلك، «ماذا فعلت نحو يسوع؟» هل رفضته أم قبلته؟ هل تبعته أم عشت لنفسك؟ هل رجعتم عن ذنوبكم لتقبلوا من حمل عنا خطايانا؟ كل ذلك سيتضح في يوم الدينونة.

٢- إنه سيحكم لا محالة

بالتأكيد سوف يأتي وقت الحصاد. عندما يقوم مزارع بزراعة حقله، يبدو له أن الحصاد لن يأتي أبدًا لأنه ينتظر يومًا بعد يوم. حدثنا يسوع عن قصة الرجل الذي اختلط في حقله الزوان بمحصول القمح. فقال لعبيده: انتظروا حتى وقت الحصاد. لأنه إذا قمتم بانتزاع الزوان مبكرًا، فسوف تدمروا أيضًا بعض القمح. سيكون هناك بالتأكيد وقت حصاد في نهاية التاريخ. وغالبًا ما يكون الحكم على تأثير حياة شخص عند موته سابقًا

لأوانه لأن تأثيره يستمر حتى بعد الموت. ولذلك، يمكن تقديم تقييم وحكم صحيح ودقيق فقط في النهاية.

إن مسئوليتنا تجعل من الحكم أمراً ضرورياً. فنحن كبشر نقوم بالاختيارات، ونحن مسئولون عن اختياراتنا. وإذا اخترنا حياة خاطئة، سيكون هناك حصاد من الخطية. وإذا اخترنا البر، فسيكون هناك حصاد من البر. إن من سمات العصر الحديث محاولة تجنب المسؤولية عن الأشياء التي نقوم بها. ومن البدء ألقى آدم باللوم على حواء في خطيتهما، لكن حواء أُلقت باللوم على الحية. ومنذ ذلك الوقت، استمرت لعبة اللوم لعصور لا نهاية لها. لا يريد الناس تحمل مسؤولية ما يفعلونه.

قد يوجه المجرم اللوم إلى بيئته أو مدرسته أو وضعه الوظيفي أو أي شيء تقريباً غير نفسه. قد يلوم نشأته أو عصابة في منطقة سكنه. عندما كنت طالباً في كلية اللاهوت، كنت أذهب أحياناً مع فريق لزيارة سجن المقاطعة. ونادراً ما أجد أي شخص يعترف بارتكاب جريمة. فعادةً ما يقولون إنهم أبرياء أو أن شخصاً آخر يجب إلقاء اللوم عليه. ولكن لا مفر من مسئوليتنا أمام الله. يقول يسوع في إنجيل متى ٢٥ أن كل الناس سوف يجتمعوا أمام العرش. فلا أحد يستطيع إخفاء أو تأخير هذا الموعد. «وَرَأَيْتُ الْأَمْوَاتَ صِغَارًا وَكِبَارًا وَاقِفِينَ أَمَامَ اللَّهِ، وَأُنْفَتَحَتْ أَسْفَارٌ، وَأُنْفَتَحَ سِفْرٌ آخَرٌ هُوَ سِفْرُ الْحَيَاةِ، وَدِينَ الْأَمْوَاتُ مِمَّا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الْأَسْفَارِ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ» (رؤيا يوحنا ٢٠: ١٢).

إن الحكم يُظهر أن حياة كل شخص مهمة، فهي تُحدث فرقاً في الطريقة التي نعيش بها اليوم. يعلمنا ذلك أيضاً أن اختياراتنا لها عواقب وخيمة،

ونتائجها غالبًا ما تتخطى كثيرًا ما كنا ندركه. الحُكم أيضًا سيُبين ويُثبت الطريقة التي عشنا بها هنا. إذ سيتم فصل الخراف عن الجداء. يتظاهر الناس أحيانًا على الأرض بأنهم ليسوا كذلك. فربما تجد هنا القوي يسحق أحيانًا أبناء الله. وإن كان يبدو الضوء هنا مجرد وخز صغير في بعض الأحيان، وأما الظلام يحوم في كل مكان، ولكن سيأتي وقت يتم فيه تمييز الضوء عن الظلام ليراه الجميع. وسيفصل القاضي كل الناس إلى المكان الذي ينتمون إليه.

٣- إنه سيحكم بشكل نهائي

يشعر الطلاب أن الحُكم قد حان عندما يكون لديهم امتحانات. المشكلة هي أنهم لا يعرفون الأسئلة التي سوف تُطرح عليهم، لذلك يجب عليهم إعداد الكثير من المواد التي قد لا تُستخدم في الامتحان. ولكن هذا ليس هو الحال معنا لأننا نعرف أسئلة الاختبار. فكلمة الله تذكر لنا الأساس الذي سيبني عليه الحُكم والدينونة. والسؤال الأساسي سيكون هو: ما هي علاقتنا بيسوع المسيح؟ إنه السؤال الذي واجهه بيلاطس فقال، «فَمَاذَا أَفْعَلُ بِيَسُوعَ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ؟» (متى ٢٧: ٢٢).

إن موقفنا تجاه يسوع يظهر من خلال ما نفعله. كما يتضح أيضًا من خلال ما لا نفعله. فإذا أحببنا يسوع، سيظهر ذلك من خلال كيفية تعاملنا مع الآخرين. كما يظهر نقص الحب في ما لا نفعله نحوهم أيضًا. كثير من الناس مُعجبون بيسوع ويتحدثون عن عظمتهم، لكنهم لا يتبعونه أبدًا، ولم يُسلّموا أو يُكرّسوا حياتهم له أبدًا. سيكون السؤال الذي سترتكز عليه الدينونة هو هذا: هل لنا علاقة مع المسيح أم لا؟ لقد أعطانا الله بالفعل سؤال الاختبار.

والآن، ماذا سنفعل حيال ذلك؟ «فِي الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ يَدِينُ اللَّهُ سَرَائِرَ النَّاسِ حَسَبَ إِنْجِيلِي يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (رومية ٢: ١٦).

٤- إنه سيحكم فى النهاية

إن الشيء الوحيد الذي يزعج الكثير من الناس هو عقاب الجحيم الأبدي. فتجد بعض الناس ينكرون الجحيم لأنه مُبغض ومشمئز لهم للغاية. فيقولون أنه لا يتناسب مع تعليم محبة الله. ولكنني أؤمن أنه تم شرح الدينونة بوضوح وهو يتناسب مع تعليم محبة الله. لأن الله يمنحنا الحرية ولا يجبرنا على إقامة علاقة معه. وللأسف، كثير من الناس لا يريدون معرفة الله أو الاقتراب منه. إذا ذهبوا إلى السماء، فسيكون ذلك جحيماً بالنسبة لهم. بل سينتابهم البؤس إن اجتمعوا مع أناس مقدسين.

يعتقد بعض الناس أن الجميع سيخلصون بغض النظر عما يؤمنون به. ولكن الاعتقاد بهذا يعني إنكار مبدأ إختيارنا كما يُجبر الناس على الدخول إلى ملكوت الله. يعلمنا الكتاب المقدس أن الخلاص يتم بالنعمة، لكن أولئك الذين يرفضون نعمة الله يذهبون إلى المكان الذي اختاروه، وهو الانفصال عن الله. لاحظ الكلمات المستخدمة: عذاب أبدي و حياة أبدية. إذا أخذنا كلمة أبدي المضافة لكلمة العقاب، فسيتعين علينا أن نأخذ كلمة «أبدي» أيضاً من الحياة. إن تعبير العقاب الأبدي يعني ما يقوله، أي إنه لا ينتهي.

إنه أمر يتعلق بما نؤمن به وكيف نحيا. فبعض الاختيارات نهائية وتؤدي إلى مصائر لا يمكن تغييرها. ويسوع هو الشخص الذي يستطيع أن يجيبك

على أي سؤال يخص الجحيم. فهو قد تحدث عن الجحيم أكثر مما تحدث عن السماء. لقد جاء ليموت من أجلنا حتى لا نذهب إلى الجحيم. ولذلك، فإن رفض المسيح هو إرتكاب أعظم خطية يمكن تخيلها. هذا الرفض هو قلب كل خطية وعدم إيمان. يا له من عذاب بالنسبة لأولئك الذين يعيشون في الظلام أن يأتوا إلى النور.

سيأتي يسوع مرة أخرى، إنه قادم ليجلس على عرش مجده. وستكون هذه نهاية كل التاريخ. وسيكون هذا المجيء من أجلنا، يوم انتصار ويوم مجد بالنسبة لنا المؤمنين بالمسيح. ولن يكون لدينا ما يُخيفنا لأن المسيح قد حمل عنا كل الدينونة بالفعل. فنفرح بمجيئه لأنه لا يوجد ما نخشاه عندما نعرف مسبقًا قرار حُكم القاضي وعندما نكون في علاقة شخصية بالقاضي نفسه.

الفصل السابع عشر

يسوع الباني

«وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيُّضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا» (متى ١٦: ١٨).

نشأ يسوع وهو يعمل مع يوسف ويقوم بعمل البناء. ولكننا لا نعرف الكثير عن عملهم لأن يسوع لم يترك وراءه مبنى أو أثر باقي عظيم. فلم يقيم ببناء كاتدرائيات عظيمة. لقد بنى المصريون أهرامات عظيمة حيث دُفن فيها الفراعنة أو الملوك مع ثرواتهم. بنى أبشالوم، ابن داود، أيضًا نصبًا تذكاريًا ليتذكره الناس. وبالرغم من أن يسوع هو باني، لكنه لم يكن يترك خلفه مبنى أو نصبًا تذكاريًا كبيرًا للكنيسة.

حتى قبل أن يأتي يسوع إلى الأرض، كان بناءً. فهو قد خلق السماوات والأرض. يا له من هيكل رائع قد بناه إذ يمكننا رؤيته في كل مكان من أي مكان في العالم، كما ويمكن رؤيته ليلاً أو نهارًا. إنه عالم شاسع به بلايين من أنظمة النجوم. لم يصل أي مهندس معماري من ذلك التخطيط الرائع لمثل هذا الهيكل. ولن يوجد نجارون يمكنهم منافسة هذا العمل.

من أكثر الأشياء المدهشة التي بناها يسوع هي الكنيسة. نحن لا نتحدث عن المبنى الذي نسميه عادةً كنيسة. فلم تكن هناك مباني كنسية لفترة

طويلة. الكنيسة هي جماعة من المفدين، وهذا ما بناه يسوع بالفعل. قد لا تحتوي الكنائس على مبانٍ. في بعض البلدان، لا تستطيع الكنيسة أن تجتمع في مبنى لأن الحكومة لن تسمح بذلك. فلا تزال هناك كنائس تلتقي في منازل أو أماكن سرية في مثل هذه الحالات. كما توجد بعض الكنائس في السجون حيث يجتمع المؤمنون لتسبيح الرب.

١- مُسَاعِدُو بِنَاءِ الْمَبْنَى

المسيح هو الباني ولكن له العديد من المساعدين. فيسوع يعمل من خلالنا لبناء الكنيسة. وإن كان ليس لدينا المعرفة أو القوة لكي نبني، لكن المسيح يعمل من خلالنا. ولديه كل الموارد التي نحتاجها. قد بدأ يسوع باثني عشر تلميذًا. كان معظمهم من الصيادين الذين لم يتلقوا تدريبًا دينيًا. ولم يختر هؤلاء الرجال بسبب قدراتهم أو لأنهم كانوا أذكاء جدًا. لكنهم كانوا رجالًا عاديين قد قام بتشكيلهم وتمكينهم. فدرّبهم يسوع، وفي يوم الخمسين جاء الروح القدس وبدأ يوم جديد.

لقد كرز بطرس بقوة، وجاء المئات من الناس إلى المسيح. فقد كانت لديهم رسالة واحدة، وهي يسوع. لقد بشروا ولم يستطيعوا السكوت، حتى الاضطهاد لم يسكتهم. وبعد أن نال بولس الخلاص، سافر هو ورفاقه في جميع أنحاء أوروبا للتبشير بيسوع. ما هو أساس نجاحهم؟ لم تكن قدرتهم أو رؤيتهم، لكن الروح القدس الذي كان يعمل من خلالهم. إذا كنت تعتقد أن الله لا يستطيع أن يستخدمك، تأمل في هذه الأعداد: «فَانْظُرُوا دَعَوَتَكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ، أَنْ لَيْسَ كَثِيرُونَ حُكَمَاءَ حَسَبِ الْجَسَدِ، لَيْسَ كَثِيرُونَ أَقْوِيَاءَ، لَيْسَ كَثِيرُونَ شُرَفَاءَ، بَلِ

أَخْتَارَ اللَّهُ جُهَالَ الْعَالَمِ لِيُخْزِيَ الْحُكَمَاءَ. وَأَخْتَارَ اللَّهُ ضَعْفَاءَ الْعَالَمِ لِيُخْزِيَ الْأَقْوِيَاءَ. وَأَخْتَارَ اللَّهُ أَدْنِيَاءَ الْعَالَمِ وَالْمُزْدَرَى وَغَيْرَ الْمَوْجُودِ لِيُبْطِلَ الْمَوْجُودَ، لِكَيْ لَا يَفْتَخَرَ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَمَامَهُ» (كورنثوس الأولى ١: ٢٦-٢٩).

إن كنا نحن ضعفاء، لكن يسوع قوي. فالمسألة ليست ما يمكننا القيام به ولكن ما يمكن أن يفعله المسيح من خلالنا. إنه الباني ولن يدوم بناء قد بُني بدونه «إِنْ لَمْ يَبْنِ الرَّبُّ الْبَيْتَ، فَباطِلًا يَتَعَبُ الْبَنَّاوُونَ» (مزمور ١٢٧: ١). من الذي يبني البيت؟ هل هو يسوع أم نحن؟ يسوع هو الباني ونحن فقط مساعدين. ولكن المساعدين هم جزء من المبنى. وهذا يشمل كل مؤمن بالمسيح، ضعيف أو قوي، صغير أو كبير، غني أو فقير.

٢- صاحب المبنى

عادةً ما يكون الباني والمالك شخصين مختلفين، ولكن هذا ليس هو الحال مع الكنيسة، لأن الكنيسة ملك ليسوع. نقول أحياناً، «كنيستي»، لكن الكنيسة ليست ملكاً لنا، لكنها تخص المسيح وحده. أما نحن فجزء من الكنيسة، فهي أكثر بكثير من ركننا الصغير في الكنيسة. والسؤال هنا، كيف تنتمي الكنيسة للمسيح؟ يسوع المسيح هو من أسسها واشتراها «إِخْتَرُوا إِذَا لَأَنْفُسِكُمْ وَلِجَمِيعِ الرِّعِيَّةِ الَّتِي أَقَامَكُمُ الرُّوحُ الْقُدُسُ فِيهَا أَسَاقِفَةً، لِيَرْعَوْا كَنِيسَةَ اللَّهِ الَّتِي أَقْتَنَاهَا بِدَمِهِ» (أعمال الرسل ٢٠: ٢٨)، قبل أن يغادر بولس الكنيسة في أفسس، شدّد على هذه النقطة أن المسيح اشترى الكنيسة بدمه. فيسوع المسيح هو المالك الذي به وله الكل.

أريد أن أعلن هذه الحقيقة أن الكنيسة كائن حي. قد تكون الكنائس كبيرة أو صغيرة، لكن الكنيسة ليست هي مكان الاجتماع. الكنيسة هم الأشخاص الذين يجتمعون هناك. إنها تتكون من أشخاص ابتعدوا عن حياتهم القديمة واختبروا حياة جديدة في المسيح. فالكنيسة هي عائلة المؤمنين. لقد قام بولس بتشبيه الكنيسة بجسد فيه أعضاء كثيرة. في الجسم السليم هناك عيون وآذان وأنف وفم ويدين وأقدام وغير ذلك. وفي الكنيسة أنواع كثيرة من الناس. يمكنك أن تجد نجارون ومعلمون ومحامون وأطباء ومتقاعدون وأطفال مدارس وشباب وغيرهم. ربما نكون مختلفون، لكننا جميعًا ننتمي للمسيح وأجزاء من بناؤه. ينتمي لنا شركاء من مختلف بلدان العالم بالرغم من وجود اختلافات كبيرة في بعض الأحيان في الوضع الاقتصادي والاجتماعي بيننا.

وهكذا، تعمل الكنيسة بشكل أفضل عندما نبقى صادقين مع هدفنا. «كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مَبْنِيِّينَ - كَجِجَارَةٍ حَيَّةٍ - بَيْتًا رُوحِيًّا، كَهَنُوتًا مُقَدَّسًا، لِتَقْدِيمِ ذَبَائِحَ رُوحِيَّةٍ مَقْبُولَةٍ عِنْدَ اللَّهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ» (بطرس الأولى ٢: ٥)، نحن قد دُعينا: «شعب الله» و «غرباء وقديسين» إن إرسالية الكنيسة واضحة كما أعلنها الكتاب المقدس. إنها ليست مكانًا للترفيه ولكنها مكان للعبادة. نحن سفراء للمسيح ومُرسلين للعالم. فتجتمع الكنيسة معًا ولكن بعد ذلك تذهب إلى العالم ببشارة المسيح يسوع.

٣- أساس البناء

على ماذا بُنيت الكنيسة؟ قال يسوع أنه سيبنيها على هذه الصخرة، وهذه الصخرة هي إقرار بطرس بالإيمان. فنحن لا نبني الكنيسة على بعض

القواعد الأخلاقية، ولا نبني الكنيسة على عقيدة من نوع ما. ولكن الكنيسة مبنية على الأساس الذي هو يسوع نفسه، «حَسَبَ نِعْمَةِ اللَّهِ الْمُعْطَاةِ لِي كِبْنًا حَكِيمًا قَدْ وَضَعْتُ أَسَاسًا، وَآخَرُ يَبْنِي عَلَيْهِ. وَلَكِنْ فَلْيَنْظُرْ كُلُّ وَاحِدٍ كَيْفَ يَبْنِي عَلَيْهِ. فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَضَعَ أَسَاسًا آخَرَ غَيْرَ الَّذِي وَضَعَ، الَّذِي هُوَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ» (١ كورنثوس ٣: ١٠-١١)، أحيانًا نرسم هذه التريزيمية، «أساس الكنيسة الوحيد هو يسوع المسيح ربها.»

يُظهر الكتاب المقدس شخص يسوع كمحور ومركز كل شيء، فهو الباني والمالك والأساس للكنيسة. ولذلك، يحذرنا القديس بولس من أن نكون حريصين أن نبني على هذا الأساس. فبعض الناس يبنون بالخشب والقش. وآخرون يبنون بالذهب أو الفضة. تحدث يسوع عن الناس الذين بنوا بيتًا على الرمل، ولكن عندما هبت العواصف سقط المنزل. فلا يوجد بناء أقوى من أساساته. الأساس الجيد ليس أمرًا اختياريًا، لكنه ضروري. وأساس الكنيسة ليس هو راعي أو قادة الكنيسة، ولكنه يسوع وحده.

على مر السنين هبت عواصف على الكنيسة عدة مرات. فقد حاول الأشرار تدميرها، فهدموا مباني الكنائس وتفرقوا المؤمنين. بل عذبوا وقتلوا المؤمنين بالمسيح، وقاموا بتشويه الكنيسة وإحراق الكتب المقدسة. وعلى الرغم من كل هذا، عاشت الكنيسة وإزدهرت. قال يسوع: إن أبواب الجحيم لن تدمرها ولن تقوى عليها. إن سر إنتصار الكنيسة هو إنه لا يمكن لأحد، ولا حتى أي قوى غير المرئية، أن تهزم الرب يسوع نفسه. لقد غزى وغلب، والنصر حليفه دائمًا. هو الرأس والكنيسة هي الجسد. هو الأساس والكنيسة

يسوع .. فوق الكل

هي البناء. يسوع هو باني الكنيسة وحاميها والمدافع عنها. الكنيسة هي عروس المسيح، ولا شيء يمكن أن يهلك العروس لأنها في رعاية العريس.

الفصل الثامن عشر

يسوع صاحب المفاتيح

«وَالْحَيِّ. وَكُنْتُ مَيِّتًا، وَهَا أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ! آمِينَ. وَلِي مَفَاتِيحُ الْهَآوِيَةِ وَالْمَوْتِ» (رؤيا يوحنا ١: ١٨).

«وَأَكْتُبُ إِلَى مَلَاكِ الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي فِيلَادَلْفِيَا: «هَذَا يَقُولُهُ الْقُدُّوسُ الْحَقُّ، الَّذِي لَهُ مِفْتَاحُ دَاوُدَ، الَّذِي يَفْتَحُ وَلَا أَحَدٌ يُغْلِقُ، وَيُغْلِقُ وَلَا أَحَدٌ يَفْتَحُ» (رؤيا يوحنا ٣: ٧).

هل فكرت في مدى أهمية المفاتيح؟ إنني أحمل المفاتيح في جيبى كل يوم. أحدهما مفتاح المنزل والآخر هو مفتاح السيارة. وفي الواقع، بدون هذه المفاتيح سأقع في مشكلة. فعندما يكون المفتاح في غير مكانه، فإننا نقوم ببحث شامل حتى نعثر عليه.

لقد حظى يوحنا برؤية رائعة للمسيح المُقام من بين الأموات في جزيرة بطمس. وما رآه وسمعه أصابه بالذهول إذ سمع المسيح الحي يقول أنه يحمل مفاتيح الهاوية (الجحيم) والموت، ولكنيسة فيلادلفيا قال يسوع، أن له مفتاح داود. يسوع هو صاحب المفتاح المُمسك به في يده. وهذا يشير إلى بعض الحقائق الرائعة التي نحتاج إلى معرفتها. المفتاح ليس في أيدينا، ولا في يد بعض الحكومات، ولكنه في يد المسيح وحده.

١- السلطان

إن صاحب المفتاح له الحق في استخدامه لأنه يمتلك مفتاح السلطان. ولكن يمكنك أن تلاحظ أنه لا يوجد سلطان وراء ما يفعله أو يقوله الكثير من الناس. وقد يكون هذا هو أحد أسباب وجود العديد من الطوائف التي تزدهر وتستند إلى سلطة قائد قوي. حيث يريد الناس شخصية مرجعية تقدم حقائق نهائية يخضعون لها.

نرى في سفر الرؤيا سلطان يسوع. نراه ليس متفرجًا عاجزًا في التاريخ. لكنه رب المجد المسيح الأزلي الذي يتكلم بسلطان الله. إذا حققنا في الماضي أو الحاضر أو المستقبل، فإننا بالتأكيد سنرى سلطانه. لم يؤسس يسوع سلطانه على ما كان يعتقد أنه يقوله الآخرون، لكنه قال، «أقول لكم» شدد على ذلك بقوله، «الحق الحق، أقول لكم»، الذي يعني: «بكل تأكيد».

عندما تكلم يسوع، ظهر العالمين إلى حيز الوجود. عندما تكلم، استطاع الأعمى أن يرى، وتمكن الأعرج أن يمشي، وقام الموتي من القبور. تكلم يسوع، فكان ما قاله. قال بولس أن في المسيح دائماً «النعم» وفيه «الآمين» والحق. لن تجده يقول: «ربما» أو «من المحتمل» أو «أعتقد». يسوع هو المالك لكلمته وسلطانه الذي هو سلطان الله.

لقد أظهر يسوع سلطانه في ما فعله. تحدث بيلاطس ذات مرة عن سلطانه عندما وقف يسوع أمامه. إذ كان يعتقد بيلاطس أن لديه قوة الحياة والموت، لكن يسوع ذكّر أنه لن يكون له سلطان عليه ما لم يُعطى له من

فوق. وعندما تم القبض على يسوع، ذكّر الناس أنه كان بإمكانه أن يدعو اثني عشر جيش من الملائكة لتظهر وتنقذه. إن لديه كل السلطان حتى أن يأمر جموع ورتب الملائكة.

حتى على الصليب نرى سلطان يسوع عندما غفر للصّ التائب. وكذلك، لم تؤخذ منه حياته، لكنه ضحى بحياته. وفي القيامة نرى سلطانه على الموت. وإن كان لمسه الموت، لكنه لم يستطع أن يهزمه أبدًا. وقبل عودته إلى السماء بوقتٍ قصير، «تَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلًا: «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ» (متى ٢٨: ١٨). إن يسوع لم يكتسب سلطانه لأنه سلطان الله الحي.

وسوف يمارس يسوع سلطانه في المستقبل لأنه سيأتي مرة أخرى. يبدو أحيانًا أن الشر ينتصر، لكن ما يمكن للشر فعله محدود مهما كان. فيسوع هو الرب الذي له كل السلطان أن يحكم ويملك، لأنه صاحب المفاتيح. لا يوجد ملك أرضي لديه مفاتيح العرش، ولا ملاك ولا قوة على الأرض فوق يسوع. فإنه مكتوب: «لِذَلِكَ رَفَعَهُ اللَّهُ أَيْضًا، وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ، لِكَيْ تَسْجُدَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ، وَمَنْ عَلَى الْأَرْضِ، وَمَنْ تَحْتَ الْأَرْضِ، وَيَعْتَرِفُ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ، لِمَجْدِ اللَّهِ الْآبِ» (فيلبي ٢: ٩-١١).

واجهت الكنائس السبع المذكورة في سفر الرؤيا صراعات شديدة. فخارج الكنائس كان هناك اضطهاد واقتراء. وداخل بعض الكنائس معلمين زائفين وحلول وسط ومساومات، ولكن في وسط كل ذلك وقف المسيح بين الكنائس، وكان صاحب المفتاح.

٢- الفرصة

المفتاح ليس فقط رمزًا للسلطة، ولكنه يشير أيضًا إلى الفرصة. قد يكون من الصعب رؤية فُرص متاحة للكنائس التي تعيش فيها. وربما يكون من الصعب رؤية فُرص لك شخصيًا لخدمة الرب. لقد تم نفي القديس يوحنا إلى جزيرة منعزلة، بطمس، حيث يبدو أنه لا توجد فرصة لخدمة الله. لقد تم نفيه لإبعاده عن الطريق، لكن كانت المفاجأة أن يعطيه الله هذه الرؤى المذهلة في ذلك المكان. ولو لم يكن القديس يوحنا في هذا المكان الذي يبدو ميئوسًا منه، لما حصلنا على الكتاب الثمين الأخير من الكتاب المقدس. فما بدا أنه ضياع للفرص أصبح أعظم فرصة لخدمته.

تُشير الأبواب المغلقة أحيانًا إلى فرصة. ولكن لا يعني إغلاق الباب أنه سيتم إغلاقه دائمًا. لأنه يسوع لديه المفتاح، ويمكنه أن يفتح الباب حسب قصده. قد يُقتل المسيحيون إذا تم اكتشافهم في البلدان التي لا يُسمح فيها بوجود كنائس. هل هذا يعني أننا عاجزون عن الوصول إلى الناس من أجل المسيح في تلك البلدان؟ لا على الإطلاق، إذ يمكن ليسوع أن يفتح الباب، ولا أحد يستطيع أن يغلقه عندما يفعل. فهناك العديد من الحالات في التاريخ يُذكر فيها كيف فُتحت الأبواب التي كانت مغلقة لمئات السنين، وتم إعلان الإنجيل فيها بتحريك عظيم من روح الله.

من أين يأتي تفاؤلنا؟ إنه ليس من الأشياء التي نراها من حولنا إذ يبدو أن الأبواب مغلقة بحيث لا يمكن لأي مسيحي الدخول. ومع ذلك، يمكن لمالك المفتاح فتح أي باب. قد يقودنا الباب المفتوح إلى بعض الوديان المظلمة أو

الجبال شديدة الانحدار، لكن عندما يقودنا السيد حيثما يقودنا نسير. أيضًا من الصالح لنا أن لا يكون المفتاح بين أيدينا. لكنه بيد الشخص الذي يعرف كل شيء عن كل الشعوب الذي يريد أن يعرفه جميع الناس وإلى معرفة الحق يُقبلوا.

٣- الأمان

لماذا يمتلك الناس مفاتيح؟ إن المفاتيح توفر الأمان عندما نغلق أبواب منازلنا. ونحن كمؤمنين بالمسيح، نحتاج إلى بعض الأبواب المغلقة. فنحن بحاجة إلى مكان آمن حيث يمكننا الراحة. لقد كانت العيون التي تراقب الكنائس المذكورة في سفر الرؤيا، والتي كانت تظهر فجأة من وقت لآخر، تُسبب خطرًا شديدًا لها. فقد كان هناك في بعض الكنائس معلمين زائفين ومساومين على الحق، بينما كان هناك خمول روحي في كنائس أخرى. لم يكن العدو يعمل خارج الكنائس فقط لتدميرها، بل كان يعمل أيضًا داخل الكنائس. لقد كان أيضًا إضطهاد الكنيسة في الخارج شديدًا. فماذا كان مستقبل مثل هذه الكنائس؟ إذا نظرنا فقط إلى ما كان يحدث، لن نكون إلا متشائمين، ولكن يسوع الذي يمسك مفاتيحه، كان واقفًا في وسط تلك الكنائس.

إن أمننا لا يأتي من المال أو الجيوش التي تحارب عنا. فنحن لا نحارب أو نحتمي أنفسنا كما يفعل العالم. لو كان الأمر كذلك، لكان مصير هذه الكنائس هو الفشل. لكن أمننا يأتي من صاحب المفتاح. فعندما يغلق الباب لا يستطيع أحد أن يفتحه وعندما يفتح الباب لا يستطيع أحد أن يغلقه. يسوع هو حمايتنا والمدافع عنا الواقف في وسط الكنائس لأنها ملكه. حقًا قد رأى يوحنا انتصار الكنيسة بسبب انتصار المسيح المُقام.

إن أمن الكنيسة وأمن كل أفراد المؤمنين لا يكمن في قدرتنا أو قوتنا. ولكنه يكمن في المسيح وحده، الذي هو ملجأنا وصخرتنا ومخبأنا. هناك ترنيمة تقول، «على المسيح، الصخرة الصلبة أقف، فكل الأرضي الأخرى هي رمال غارقة». السؤال هنا ليس ما هو مدى قوتنا، ولكن ما هو مدى قوة الرب يسوع المسيح؟

هناك بعض الأماكن التي لا نريد وضع مبنى فيها بسبب مشكلات تتعلق بالسلامة والأمان. فعلى سبيل المثال، سيكون من الحماقة بناء مبنى في مكان تغمره المياه كل عام أو على أحد الجبال التي تشتهر بإنهيارات طينية. وكذلك نحن لا نريد أن نبني حياتنا على الخشب والقش التي تهب مع رياح قوية. لكننا بحاجة إلى البناء على أساس قوي إلى حيث يقودنا صاحب المفتاح. فعندما يقودنا، يمكننا أن نعرف أنه سيحفظنا أيضاً. ولذلك، يمكننا أن نثق به بشكل كامل. وإنه لمن الحماقة أن نحاول أخذ المفتاح. فلا يوجد سوى مكان واحد للمفتاح وهو يسوع المسيح الحي. وبين يديه، يمكننا أن نتحلى بالاطمئنان ونتحرك بل نتقدم بشكرٍ وامتنان.

الفصل التاسع عشر

يسوع رجل الأحران (الأوجاع)

«مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا، وَلِمَنْ أَسْتَعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟ تَبَتْ قُدَّامَهُ كَفْرُخٌ وَكَعِرَقٍ مِنْ أَرْضِ يَابِسَةٍ، لَا صُورَةَ لَهُ وَلَا جَمَالَ فَنَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَلَا مَنْظَرَ فَنَسْتَهِيَهُ. مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ، رَجُلٌ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحَزَنِ، وَكُمُسَّرٌ عَنْهُ وَجُوهُنَا، مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ. لَكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مَصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللَّهِ وَمَذْلُولًا. وَهُوَ مَجْرُوحٌ لِأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لِأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبٌ سَلَامِنَا عَلَيْهِ، وَبِحَبْرِهِ شُفِينَا. كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلَّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا» (إشعيا ٥٣: ١-٦).

هل دُعي يسوع رجل الحزن لأنه لم يكن سعيدًا؟ ألم يبتسم يسوع أو يضحك قط؟ أنني أؤمن أن يسوع كان أسعد رجل عاش على الإطلاق لأنه فعل مشيئة الله بدون استثناء. فقد عاش في شركة كاملة مع أبيه. فلم يكن هناك وقت أبدًا سَبَّبَ له إحباط أو خِيَبَ فيه أمله أو عصاه. وكان يستمتع بزيارة الأصدقاء مثل مريم ومرثا ولعازر في بيت عنيا.

يعاني بعض الناس من العديد من الأحران التي تنتج عن اختيارات غير حكيمة، مثل الأشخاص الذين يصبحون مدمنين عن طريق تعاطي المخدرات

أو الكحول. أو أحزان الأسرة الشديدة التي تنتج في الغالب من أنانية أحد طرفي شريك الحياة الزوجية. وربما تسبب الحوادث أو الأمراض أيضًا حزنًا كبيرًا. بغض النظر عن السبب، فإن الحزن البشري هو حقيقة، لكن حزن يسوع كان يختلف عن الأحزان المذكورة أعلاه.

لا يمكننا أبدًا أن نفهم من هو يسوع حقًا حتى نعرف شيئًا عن حزنه. وعندئذٍ سنكتشف شيئًا واحدًا وهو أن آلام يسوع هي أساس فرحنا. إذ يمكننا أن نختبر فرحه، لأنه حمل أحزاننا. لقد صار يسوع رجل أحزان حتى نصبح رجال ونساء أفراح.

١- بسبب مجيئه إلينا

لو كان يسوع قد أصبح ملاكًا، لكان قد عرف آلامنا فكريًا أي في فكره فقط، لكن يسوع صار إنسانًا واختبر أحزاننا. عندما رأى الناس يسوع، لم يروا شيئًا غير عادي. فلم تكن هناك هالة فوق رأسه أو أي شيء يميزه. لقد بدا وكأنه رجل عادي. فقد أكد إشعياء على إنسانيته. فلم يكن هناك شيء خارجي يخبرنا عن هويته. لم تكن هناك علامة أو سِمَةٌ معلقة حول رقبته أو ضوء خاص ينبعث من جسده. كما لم يكن هناك جمال خاص يميزه عن غيره. ولكن قد رأى الناس الذين مروا به في الشارع رجلًا حقيقيًا.

ولو كان يسوع قد عاش بعيدًا عنا، لكان قد نظر إلى أحزاننا، وتعاطف معنا، وشعر بعمق بما اختبرناه. ولم يأت يسوع كناسكٍ ليختبئ على جبل ما. بل كان يعيش بين الناس، ويأكل معهم، ويتحدث معهم، ويصادقهم. لقد

بكى يسوع عند موت لعازر. وقد تأثر برأفة أحشائه عندما رأى الناس يتألمون ويعانون. عندما رأى أماً حزينة، أقام ابنها من الموت. وعندما نظر نحو مدينة اورشليم وتأمل في عصيان الشعب والفرصة المقدمة لهؤلاء الناس، صرخ. وفي الليلة التي سبقت تعلقه فوق صليب، صلى بشدة حتى سقط عرقه مثل قطرات الدم. شهد الكتاب المقدس أنه كان متألمًا في صراعٍ شديدٍ.

٢- بسبب الاستجابة التي يتلقاها

كيف تجاوب الناس مع يسوع؟ لقد وصف النبي إشعياء ذلك جيدًا عندما قال إنه كان محتقر ومرفوض. قد يكون من الصعب علينا أن ندرك ذلك، لكن الكثير من الناس كرهوا يسوع. لم يكن هذا في نهاية خدمته فقط، ولكن خلال خدمته، فقد أراد بعض الأعداء التخلص من يسوع. ولم يرحب به معظم القادة الدينيين في ذلك الوقت، بل عارضوه بشدة. وصف يوحنا كيف استقبل الناس يسوع في ذلك الوقت فقال: «كَانَ فِي أَلْعَالَمِ، وَكَوَّنَ أَلْعَالَمُ بِهِ، وَلَمْ يَعْرِفْهُ أَلْعَالَمُ. إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ» (يوحنا ١: ١٠-١١).

هل تم رفضك من قبل؟ ربما فعلت شيئًا مميزًا لأصدقائك أو عائلتك، لكنهم رفضوا ما فعلته. بل ربما هناك حالات يرفض فيها الأب ابنه. أحيانًا عندما يصبح شخص ما من أتباع المسيح، فإن الأصدقاء والعائلة يرفضونه. وبسبب قبوله ليسوع تنقطع الروابط الأسرية مما يضطر المؤمن ترك بيته. قال يسوع أن هذا سيحدث وهذا يجلب حزنًا كبيرًا.

أن يتم تجاهلك يمكن أن يجلب الكثير من الحزن. فقد نعاني كثيرًا عندما لا يستمع لنا أحد أو يهتم لأمرنا. في بعض الأحيان يعامل الأطفال والديهم بهذه

الطريقة أو العكس. لقد تجاهل كثير من الناس يسوع. فسمعوا ما قاله ورأوا ما فعله لكنهم لم يفعلوا شيئاً ولم يُقدروه. على الرغم من أنه ابن الله وخالق كل الأشياء، إلا أنهم عاملوه على أنه مجرد متطفل أو كمجرد إنسان عادي.

كثير من الناس كانوا يكرهون يسوع، لأنهم شعروا بالتهديد منه مع شعور بعدم الراحة حول شخص لم يخطئ قط، ومثل هذه الكراهية كانت بالتأكيد باعث للحزن. لقد أظهر يسوع المحبة فقط، لكن المحبة الوحيدة التي عرفها كثير من الناس كان الحب الأناني. ولهذا السبب، لم يكون لهم نصيب في يسوع عندما دعاهم إلى إنكار أنفسهم وحمل الصليب واتباعه. مثل ذلك الرئيس الشاب الغني، لقد أعجبهم يسوع ولكنهم رفضوا مطالبه. في إحدى المرات، عندما أخبرهم يسوع أنه: «أنا هو» أي «أنا يهوه»، التقطوا حجارة وأرادوا قتله.

تحدث بعض الناس بأشياء فظيعة عن يسوع. هل سبق لك أن واجهت وقتاً اتهمك فيه الناس زوراً وأساءوا فهمك تماماً؟ اتهم الناس يسوع بأن به شيطان. وقال البعض إنه مجنون. حتى على الصليب، سخر الجنود الرومان من يسوع. سخر منه الناس قائلين، «خَلِّصْ نَفْسَكَ! إِنْ كُنْتَ أَبْنَى اللَّهِ فَأَنْزِلْ عَنْ الصَّلِيبِ!» (متى ٢٧: ٤٠).

وبالرغم من أن يسوع ملكاً، لكنه لم يُعامل كملك، بل سخروا منه. إن الجهل هو أصل وأساس الحزن الشديد. لم يعرف الناس من هو يسوع. وفي جهلهم الروحي رفضوه، وفي عَمَاهم أحبوا الظلمة وفضّلوها على نور العالم. حقاً إن سوء الفهم يسبب الحزن. لقد اعتقد بعض الناس أن يسوع يستحق

الموت. نعم كانت آذانهم صماء وكانت عيونهم عمياء، فماتت قلوبهم. ولهذا السبب صرخوا جميعهم، «اصلبه، اصلبه».

ماذا عن الاستجابة التي يتلقاها يسوع اليوم؟ لا يزال الكثير من الناس يتجاهلونه ويحتقرونه ويرفضونه. إذا سار في شوارعنا مرة أخرى، فلن يتم التعرف عليه وربما يُساء فهمه من الرجال والنساء. وقد نسمع صرخات مرة أخرى، «اصلبه، اصلبه». لا عجب أن يُدعى يسوع رجل الأوجاع.

٣- بسبب الموت الذي ماته

كتب إشعياء أن يسوع ضُرب وتَألم، كما تحدث عن جروحه. وبالرغم من أن هذه النبوة قد كُتبت قبل مئات السنين من مجيء يسوع إلى هذه الأرض، لكن يبدو أن إشعياء كان واقفًا عند الصليب. كان الصليب وسيلة رهيبة للإعدام وكان عادة مخصصة لأسوأ المجرمين. لقد كان موتًا مُخزياً، حيث كانت تُجرد كرامة الشخص بالكامل وهو معلق عارياً، وبالكاد يحاول أن يتنفس. بينما كانت خطايانا هي سبب حزن يسوع. «الْمَسِيحُ أَفْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لِأَجْلِنَا، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِقَ عَلَى خَشَبَةٍ» (غلاطية ٣: ١٣).

نحن سبب الصليب وحزن يسوع. لاحظ عبارة «معاصينا» و«آثامنا»، «وَهُوَ مَجْرُوحٌ لِأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لِأَجْلِ آثَامِنَا.... وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا» (إشعياء ٥٣: ٥-٦). لماذا إذاً كان يسوع على ذلك الصليب؟ كنت أنا هو السبب. وأنت أيضاً السبب لأن يسوع مات من أجل خطايانا. وبكامل إختياره طواعية

حمل آثامنا وأوجاعنا. لم يأخذ أي إنسان حياة يسوع، ولكنه اختار أن يبذل حياته من أجلنا. حقًا، عند الصليب نرى آلام الحب والقداسة الكاملة.

لا أعتقد أننا نستطيع أن نفهم تمامًا أحزان يسوع. ففكر معي، كيف سيكون الأمر بالنسبة لشخص عاش في مكان جميل ونظيف ومقدس أن يأتي إلى مكان قذر ومتمرد يريد الناس فيه أن يقتلوه؟ وكيف سيكون الأمر لو تركت مكانًا لا توجد فيه أمراض أو موت، إلى مكان يوجد فيه كل مرض يمكن تخيله وموت في كل مكان؟ هذا يعبر بشكل غير كافٍ بل ربما لا شيء يُذكر عن ما يعنيه أن يأتي يسوع إلى الأرض ويصبح رجل الأحران.

لقد كانت أحزان يسوع حقيقية، لكنها لم تلغي فرحه. أنني أؤمن أن يسوع استمتع بالحياة وضحك وابتسم. لم يكن لديه أبدًا أي شك من جهة مهمته أو علاقته بأبا الآب. لقد عرف يسوع سبب وجوده هنا، وأكمل عمله. قال على الصليب، «قد أكمل». لأن يسوع اختبر الحزن هنا، فهو يفهم أحزاننا. ربما تمر ببعض الحزن في حياتك حاليًا. لماذا لا تُحضر هذه الأحزان إلى يسوع؟ فمن خلال آلام يسوع، يمكنك أن تجد تعزيتك ورجائك. لقد حزن هو حتى لا نحزن، وقد عانى حتى لا نعاني، ومات هو لكي لا نموت. لقد صار رجل أحزان حتى أننا لا نكون فيما بعد رجال ونساء أحران.

الخلاصة

هناك أخبار سارة لك وهي غرض كتابة هذه الرسائل. الخبر السار هو أنه يمكننا أن نخلص بسبب ما فعله المسيح من أجلنا. فقد كان هذا هو هدفه في المجيء إلى الأرض إذ جاء لكي يخلص الخطاة. فقد تمرد الإنسان الأول على الله. ومنذ ذلك الحين، اتخذ جميع الرجال والنساء طريقهم الخاص. وهذا ما يقوله الكتاب المقدس، «لأن الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله» (رومية ٣: ٢٣). فقد أخطأنا بطرق عديدة متنوعة.

لخص يسوع كل الوصايا التي يتوقع الله منا أن نحياها عندما قال إننا يجب أن نحب الله بشكلٍ فائق. ومن فعل ذلك؟ يجابوب الكتاب المقدس ويقول ولا واحد كان بارًا، فجميعنا أخطأنا. كما لخص يسوع أيضًا بقية الوصايا التي نحو الآخرين بقوله إنه يجب علينا أن نحب قريبنا كنفسنا. ولكننا نعلم أننا لم نفعل هذه أيضًا!

وبسبب سقوط الإنسان في الخطية توجد هوة عظيمة تفصل بين الله والإنسان. يقول الكتاب المقدس أن «أجرة الخطية هي موت». فبدون الله انفصلنا عنه. وإذا واصلنا العيش بهذه الطريقة، فسنفصل أخيرًا عن الله إلى الأبد. ولكن الله يعطينا الاختيار إذا كنا لا نريده رافضين تدبيره لخلاصنا، فهو سيسمح لنا في النهاية أن نعيش بدونه في الجحيم.

ترك يسوع غنى السماء ليأتي إلى فقراء الأرض من أجل خلاصنا. لقد عاش حياة كاملة حتى يصبح بديلاً عن خطايانا. فكنا نستحق أن نموت من أجل خطايانا، لكن يسوع أخذ مكاننا. لقد وُضع عليه أثم جميعنا، وعند موته صرخ: قد أكمل. هذا يعني أنه أكمل عمل الخلاص. والطريق إلى السماء مفتوح الآن. فيمكن للخطاة الآن أن يأتوا إلى إله قدوس بسبب ما فعله يسوع، «وَلَكِنَّ اللَّهَ بَيْنَ مَحَبَّتِهِ لَنَا لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا». (رومية ٥: ٨).

إن الخلاص عطية مجانية. فلا يمكنك أن تخلص من خلال أعمالك أو من خلال الحفاظ على مجموعة من القوانين. فقط من خلال المسيح وحده ومن خلال ما فعله من أجلك يمكنك أن تأتي إلى الله. «وأما هبة الله هي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا». هل أدركت ذلك؟ إنها هبة. يمكننا أن نقولها بطريقة أخرى أن خلاصنا هو من خلال نعمة الله التي لا نستحقها. «لَأَنَّكُمْ بِالنَّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالْإِيمَانِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللَّهِ». (أفسس ٢: ٨).

ولكن ماذا تعمل عندما يقدم لك هدية؟ بالتأكيد تذهب وتأخذها وأنت تقول، «شكراً لك». ولكن إن كانت يدك تمسك بأشياء أخرى، فلن يمكنك إستلامها. هكذا نحتاج أن نخرج من دائرة أنفسنا ومن طريقة حياتنا الخاطئة، ونتجه نحو المسيح. وليس مطلوب منا أن ننظف حياتنا أولاً بل نأتي كما نحن إليه وهو الذي سيغيرنا. ماذا تحتاج أن تفعل؟ آمن بيسوع كمخلصك وربك. إنك تحتاج أن تعترف بفمك بيسوع المسيح رباً ومخلصاً، «لَأَنَّكَ إِنِ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللَّهَ أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، خَلَصْتَ». (رومية ١٠: ٩) أن تؤمن به يعني أن تلتزم به تماماً كما تلتزم بحياتك الزوجية.

أن تصدقه يعني أنك تثق به كما لو كنت تودع أموالك في البنك. أنها تعني أن تستريح في وعده بخلاصك، وكأنك تجلس على كرسي مُستريحاً عليه.

إذا كنت غير متأكد من خلاصك أو تريد أن تنال الخلاص، تعال الآن إلى يسوع المسيح. لا تؤجل قرارك أكثر من ذلك. يمكنك أن تصلي صلاة كهذه، أو يمكنك أن تصلي صلاتك الشخصية له. المهم أن تعني وتقصد ما تقوله وأنت تصلي.

إلهي العزيز،

أنا خاطئ أعلم أنني لا أستحق أن أخلص. أرجوك أن تسامحني و تُخلصني، أنا الآن أقبل المسيح كمخلصي وربّي. أنا أؤمن أنه مات من أجلي وقام من القبر. حُجّتي الوحيدة أنه مات من أجلي. شكراً لسماع صلاتي. في اسم يسوع.

يمكن أن تكتب هنا للتذكرة:

اسمك:

تاريخ قرارك:

إذا كنت قد قبلت المسيح، فابدأ في إخبار الآخرين عن يسوع. ابحث عن كنيسة جيدة حيث يُدرس الكتاب المقدس. اذهب لتعتمد (تنال نعمة المعمودية) كمؤمن جديد. كن في شركة بانتظام مع المؤمنين الآخرين وادرس كلمة الله معهم. الآن يمكنك أن تصلي كل يوم وتعبر عن امتنانك وشكرك

يسوع .. فوق الكل

للرب، وأسأل الرب أن يقودك. وبينما تقرأ كلمة الله كل يوم سوف تعلمك.
لا تقلق بشأن الأشياء التي لا تفهمها وإلى أن تدركها كن مطيعاً له في الأشياء
التي تفهمها.

كتب بليك ويسترن

- ١- أبواب السماء مفتوحة
- ٢- لاهوت نتغني به
- ٣- الأعظم بلا مقارنة
- ٤- فقط أتساءل
- ٥- عظيم ومهوب
- ٦- هُويَّة المسيحى
- ٧- يسوع... محور الإيمان
- ٨- يسوع... الإله المدهش
- ٩- يسوع ... ليس له مثل
- ١٠- يسوع ... فوق الكل

كتب القيادة والإدارة (ديل كارنيجى)

- ١- اكتشاف القائد (الكنز) الذي بداخلك
- ٢- كيف تجمع بين الثروة والقيادة والنجاح
- ٣- الأسرار السبعة للإدارة الصحيحة
- ٤- الإدارة الذاتية الناجحة

٥- كيف تكون عبقرياً وقائداً مؤثراً في الآخرين؟

كتب ق. رفعت طنبوس

١- الضمير في الثقافات والأديان

٢- حياة الطريق

٣- ثانية فارقة

كتب أخرى

١. قاموس المصطلحات الكتابية واللاهوتية

٢. رواية فك تشابك

٣. رواية الهاربة

٤. رجال الشجاعة

٥. البطل

٦. شخصيات لها بصمات

٧. رواية كش ملك